

الإيقاع الصوتي في مقامات الحريري شكلا ومضمونا

بقلم: نادر مصاروه

الإيقاع

يصعب علينا، أحيانا، تحديد ووصف مفهوم الإيقاع لاعتباره من المفاهيم غير الثابتة والمتغيرة . وقد وصف الباحث جاكبسون لفظة الإيقاع " بأنها ملتبسة الى حد ما انطلاقا من كون مفهوم الشعر غير ثابت ويتغير مع الزمن¹ . وهو كما يرى الزيدي بأنه " من أكثر المفاهيم غموضا قديما وحديثا الى حد اننا لا نجد اليوم تعريفا واضحا له "² . فالإيقاع - كأية اشكالية لم تستقر بعد - تستعصي على التعريف النهائي " لان له صورا وتجليات بعدد المختلفين حوله³ " وهو من الامور التي لا تحدد بالوصف رغم ان ادراكها يتم بالمعرفة⁴ . ويرتكز الإيقاع بالدرجة الاولى على التكرار والترديد⁵ ، ولهذا الترديد والتكرار غايات وأهداف متعددة الجوانب . وترتبط بالتكرار فكرة الانتظام في السياق الزمني بين الوحدات المتكررة ، فهذا الانتظام يُعدّ لازما للإيقاع لكي يحافظ على النسق والمسافات الفاصلة بينه وبين غيره من الأنساق ، وعلى ذلك " فالإيقاع تنظيم زمني للحركة "⁶ .

1 . جاكبسون رومان، قضايا الشعرية ، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون، دار بوتقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988، ص43.

2 . الزيدي، توفيق ، مفهوم الادبية في التراث النقدي ، ط2، عيون المقالات، الدار البيضاء، 1987، ص137.

3 . حاتم السكر ، ما لا تؤديه الصفة ، بحث في الإيقاع والإيقاع الدلخلي في قصيدة النثر خاصة ، مجلة اقلام ، ع5، ايار ، 1990، ص60.

4 . المرجع السابق ، ص65.

5 . نورثروب فراي ، تشريح النقد محاولات اربع ، ، ترجمة محمد عصفور ، منشورات الجامعة الاردنية ، عمان ، 1991ص323.

6 . كريم حسام الدين ، الدلالة الصوتية ، ص151.

وقد نبّه ريتشاردز الى ان الايقاع هو " النسيج الذي يتألف من التوقعات والاشباعات او خيبة الظن او المفاجآت التي يولدها سباق المقاطع " فتتابع المقاطع على نحو خاص يهيء الذهن لتقبل تتابع جديد من هذا النمط دون غيره ، اذ يتكيف جهازنا في هذه اللحظة بحيث لا يتقبل الا مجموعة محدودة من المنبهات الممكنة ، فبعد قراءة بيت او بيتين من الشعر او نصف جملة نثرية يصبح الذهن مهياً لعدد معين من التتابع الممكن ، وفي الوقت نفسه يضعف من قدرته على تقبل صنوف اخرى من التتابع " ⁷ وبناء على هذا فان ريتشاردز يرى أن الايقاع يعتمد على التوقع الذي عادة ما يكون لا شعوريا ، وربط ايقاع الشعر والنثر بهذا التوقع مبيناً ان ايقاع الشعر متوقع ومنتظر بفضل التهيؤ الذهني الذي توفره الوحدات الوزنية ، وانتظامها في نسق منتظم زمانيا ، غير ان عملية التهيؤ الذهني ومجال التوقع يضعفان في النثر الذي " تصاحبه حالة من التوقع اكثر غموضا وقل تحديدا مما هي في الشعر " ⁸ وهكذا يرتبط عنصر الايقاع بالشعر اكثر من غيره من الفنون الكتابية لأعتماد الشعر على الوزن ومحافظته عليه ، فالكلام الموزون يزيد من تحديد الايقاع لقيامه على انتظام الوزن وتكرار هذا الانتظام . كما يختلف الشعر والنثر فيما بينهما في خلق الايقاع واطهاره ، " فايقاع الشعر ثابت ومنظم ومتكرر بسبب الوزن ، ويسود في كيان القصيدة كلها ، غير ان ايقاع النثر منقطع غير متكرر فهو يظهر في اجزاء ويختفي في اجزاء اخرى " ⁹.

وهكذا نرى ان الايقاع يشمل كافة الفنون ، الشعرية والنثرية. وتعد المادة الصوتية الموظفة في النص النثري اساس هذا الايقاع ، وهي موظفة توظيفا متنوعا من موضع الى آخر في صلب النص الواحد ، ويدخل ضمن ذلك ما يوفره الجانب الصوتي من وزن وتكرار في الاصوات ، وفي المفردات ، والجناس ، والطباق ، وتوازن الجمل وتوازيها ¹⁰ . وهذا يعني اعتماد الايقاع على ترديد الوحدات الصوتية ، والوحدات البنيوية اللغوية في السياق على مسافات متقاربة بالتساوي لاحداث الانسجام ، وقد ياتي التردد على مسافات غير متقاربة

7 . (أ) ريتشاردز ، مبادئ النقد الادبي ، ترجمة مصطفى بدوي ، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1963، ص192.

8 . ريتشاردز ، مبادئ النقد الادبي ، ص188 - 189.

9 . نور ثروب فراي ، تشريح النقد ، ص343.

10 . البصري ، عبد القادر داوود ، ايقاع الشعر الحر بين النظرية والابداع ، اربد ، الاردن، د.ت، ص4.

تجنباً للرتابة.

وهناك إيقاع داخلي قائم في النص ، مؤسس على عنصر الحركة الموقعة المجردة من عنصر الصوت ، وهذه الحركة لا يتم ادراكها الا من خلال الفهم الكامل لنمو الحركة داخل البناء الكلي للنص ، وحركة مكوناته ، ونسيج علاقاته ¹¹.

وخلال مقالنا هذا في الحديث عن الإيقاع في مقامات الحريري ، سيتم التركيز على العناصر الصوتية . ولما كانت هذه النصوص نثرية، فاننا سنتناول في دراية إيقاعها الى بحث بنية هذه النصوص ونظمها، محاولين البحث عن دلالات هذا الإيقاع المتعددة.

التكرار الحرفي في مقامات الحريري

لكل حرف من حروف اللغة صوت ترجع طباقته من التنغيم الى مخرجه من جهاز النطق ، وقد قام العلماء بتشريح هذا الجهاز وبيان المخارج التي تنتسب اليها هذه الحروف . وما اشبه هذه المخارج بالآوتار التي يعزف عليها اللسان من كل وتر صوت ، فتسمع الاذن من هذا جهازة ، ومن هذا همسا ، ومن احدها شدة ، ومن الآخر رخاوة ¹².

وسنتناول في هذا الباب الإيقاع الناشيء عن تكرار الصوت وتكثيفه في النص ، محاولين تسليط الضوء على الإيقاع ، وما يحمل من ابعاد معنوية في النص، فالوحدة الصوتية المتكررة في النص تكسبه ميزة خاصة ، وتعد ذات فاعلية وتأثير في بلورة المعنى.

وتتكتف حروف المد في السياقات التي يحتاج المتكلم فيها ان يعبر عما يجول في نفسه من مشاعر الحزن او الفخر او التحدي او اللوم او القهر ، وكذلك الدعاء والمواعظ والنصائح ، فحروف المد تلائم غناء النفس : اشواقها وافراحها وآلامها ، وذلك لسعة مخارجها ¹³.. ولنبداً بايحاء ذلك الإيقاع المتولد من حرف (الالف) وهو اخف حروف المد وقد تكرر في كلام المرأة المفتخرة بقومها امام جماعة من الشعراء " قالت : حيا الله المعارف ، وان لم يكن معارف ، إعلموا يا مال الآمال ، وتمال الأرامل ، أي من سروات القبائل ، وسريرات

11 . حاتم الصكر ، ما لا تؤديه الصفة ، 62.

12 . الغريبي، سعد عبد الله، الاصوات العربية، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، الطبعة الاولى، 1986، ص34.

13 . نور الدين ، عصام، علم وظائف الاصوات اللغوية، الفونولوجيا، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة

الاولى، 1992، ص8.

العقائل... " 14، فتكرير حرف الالف خلق ايقاعا لاعم مد الصوت في طلب العون والمساعدة ، ومد الصوت ايضا في الفخر ، ويدل تكتيف صوت الالف على ما يكتنف نفس الرجل التائب من مشاعر الأسى والحزن والندم على ما ارتكبه من الذنوب " وبت صريع الصهباء في اللينة الغراء، وهأ أنا بادي الكابة، لرفض الأنابة، نامي الندامة لوصل المدامة، شديدا الشفاق من نفض الميثاق، معترف بالاسراف في عب السلاف... " 15 .
ويتكرر صوت الالف في الدعاء لاطالة الصوت ومدّه: " يا أهل البصرة رعاكم الله ووقاكم وقوى ثقواكم... " 16

وفي المقامة الدينارية يقف ابو زيد مستجديا الناس، قائلا: " يا أخاير الذخائر، وبشائر العشائر، عمو صباحا وأنعموا اصطبأحا، وانظروا الى من كان ذا ندي وندي، وجدة وجداء، وعقار وقرى، ومقار وقرى، فما زال به قطوب الخطوب، وخروب الكروب، وشرر شر الحسود، وأثنياب النوب السود،... فهل من حرأس، أو سمح مؤاس " 17 .
نلاحظ هنا كيف تكتف صوت الالف خالقا اتصالا يوحى بانفراج الحياة وسعتها، يليه تكتف صوت الواو وخلق ايقاع يوحى بصعوبة الحياة وضيقها.

اما صوت (الهمزة) " وهو ذلك الصوت الانفجاري الحنجري الذي ينطق الهواء عند النطق به، بعد انحباسه في فراغ الحنجرة محدثا انفجارا " 18 فقد تكتف في العديد من سياقات الغضب، والتحدي، وتبادل الشتائم، وفي هذه السياقات يخرج الكلام بصعوبة بسبب وقوع الاطراف المتجاورة تحت ضغط الانفعال، نذكر على سبيل المثال قول ابي زيد حينما

14 . مقامات الحريري، دار صادر، بيروت، المقامة البغداديه: ص 112 - 113، سيتم اعتماد النسخة المشار اليها سابقا، وسنشير من الآن فصاعدا الى اسم المقامة التي أخذ منها النص المقتبس ورقم الصفحة فقط. مأل الأمال : ملجأ الراجي، الثقال : من يعول عليه، سروات : جمع سراة او جمع سري وهو السخي، سريات : جمع سرية وهي الرفيعة القدر، العقائل : جمع عقيلة وهي الكريمة الجيدة .

15 . المقامة الحرامية : ص 428. الغراء : البيضاء . وهي ليلة الجمعة سميت غراء لما فيها من الفضل . الانابة : الرجوع .

16 . المقامة البصريّة : ص 443.

17 . المقامة الدينارية : ص 29. ندي : مجلس . ندى : جود . جدة : غنى . جدا : عطية ، عقار : ارض ، مقار : جمع مقارة وهي الجفنة العظيمة، قرى : ضيافة .

18 . عبد الرحمن ايوب، اصوات اللغة، ص 217.

يكرر الهمزة بواسطة تكرار صيغة (افعل) حيث يشتم زوجته معددا صفاتها القبيحة امام القاضي فيقول لها: " وَلَقَدْ عَلِمْتَ أَنِّي حِينَ بَنَيْتُ عَلَيْكَ ، وَرَتَوْتُ إِلَيْكَ ، أَلْفَيْتُكَ أَقْبَحَ مِنْ قَرْدَةٍ ، وَأَيَّبَسَ مِنْ قَدَّةٍ ، وَأَحْشَنَ مِنْ لَيْفَةٍ ، وَأَنْتَنَ مِنْ جَيْفَةٍ ، وَأَنْقَلَ مِنْ هَيْضَةٍ ، وَأَقْدَرَ مِنْ حَيْضَةٍ ، وَأَبْرَزَ مِنْ قَشْرَةٍ ، وَأَبْرَدَ مِنْ قَرَّةٍ ، وَأَحْمَقَ مِنْ رَجَلَةٍ ، وَأَوْسَعَ مِنْ دَجَلَةٍ " 19 ، فترد عليه مستخدمة ايضا صيغة (أفعل) : يا أَلَمَ مِنْ مَادِرَ ، وَأَشَامَ مِنْ قَاشِرَ ، وَأَجْبَنَ مِنْ صَافِرَ ، وَأَطْيَشَ مِنْ طَامِرَ ، ... وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ أَحَقَرُ مِنْ قَلَامَةٍ ، وَأَعْيَبُ مِنْ بَعْلَةٍ ، وَأَفْضَحُ مِنْ حَبَقَةٍ فِي حَلْقَةٍ ، وَأَخِيرُ مِنْ بَقَّةٍ " 20 ، نلاحظ هذا التكتيف لصوت الهمزة بوضوح ، والهمزة كما نعلم من الاصوات التي تنطق بصعوبة.

وبرز هذا الايقاع الناشيء من تكرار صوت الهمزة في كلام القاضي الغاضب الذي ثارت أعصابه ، واضطربت نفسيته ، يقول: " أَرُشِقُ فِي مَوْقِفِ بَسْهَمَيْنِ ، أَلُرْمُ فِي قَضِيَّةِ بِمَغْرَمَيْنِ ، أَطِيقُ أَنْ أُرْضِيَ الْخَصْمَيْنِ ، وَمِنْ أَيْنَ وَمِنْ أَيْنَ ؟ " 21 . وقد تكررت الهمزة في حديث الفتى عن صعوبة معاشرته البكر: " وَطَالَمَا أَحْرَتِ الْمَنَازِلَ ، وَفَرَكَتِ الْمُعَازِلَ ، وَأَحْنَقَتِ الْهَازِلَ ، وَأَضْرَعَتِ الْفَنِيْقَ الْبَازِلَ " 22 . وتكثفت الهمزة في حديث ابي زيد عن صعوبة مشوار حياته ، وكثرة اسفاره : " أَنَا الَّذِي أَنْجَدَ وَأَثَمَ ، وَأَيْمَنَ وَأَشَامَ ، وَأَصْحَرَ وَأَبْحَرَ ، وَأَدْلَجَ وَأَسْحَرَ ... وَأَزْعَمْتُ الْمَعَاطِسَ ، وَأَدْبَتُ الْجَوَامِدَ ، وَأَمَعْتُ الْجَلَامِدَ... " 23 .

وقد حرص الحريري في بعض مقاماته الى طريق الابدال والنقل للحركة ، فنجده يبدل

19 . المقامة التبريزية : ص 347 . القدة : هي القطعة من الجلد غير المدبوغة . هيضة : تخمة ينشأ عنها القيء والاسهال . الحِيضَة : بالكسر: خرقة الحائض التي تحتشي بها . ابرز من قشرة: اراد انها غير مخدرة . ابرد من قرة : من ليلة باردة . الرجلة : هي البقلة الحمقاء تنبت في مجاري السيل فيجترفها . اوسع من دجلة : يريد انه وجدها مفتضة .

20 . المقامة التبريزية : ص 347 . مادر : رجل من بني هلال بن عامر اتخذ حوضا لسقي ابله فلما روت سلع فيه لثلا ينتفع به من بعده . قاشر : عام مجذب . صافر : طائر يصفر طول ليلته خوفا على نفسه من ان ينام فيؤخذ . طامر :

أي البرغوث . حلقة : جماعة .

21 . المقامة التبريزية : ص 352 .

22 . المقامة البكرية : ص 378 . اخزت : من الخزي او من الخزاية : وهي الحياء . الفنيق البازل : الرجل المجرب .

23 . المقامة البصرية : ص 445 . انجد واتهم : أي سار الى نجد وتهامة . المعاطس : جمع معطس وهو الانف أي

الصقت الانوف بالرغام وهو التراب .

(الهمزة) (الفا) في كلمة (راسك) وكلمة (كاسك) وذلك في قول الحارث متعجبا من تناقض افعال ابي زيد يعظ في النهار ، ويشرب الخمر في الليل : "فقلتُ : وَاللّٰهٖ مَا اُدْرِى اَعْجَبُ مِنْ تَسْلِيْكَ عَنِ اُنَّاسِكَ ، وَمَسْقُطِ رَاسِكَ ، اَمْ مِنْ خِطَابَتِكَ مَعَ اُدْنَا سِكَ ، وَمَدَارِ كَاسِكَ " ²⁴. نلاحظ في هذا النص تكثيفا لحرف المد (الألف) . والتكثيف يولد ايقاعا جاء هنا موحيا بالدهشة والاستغراب نتيجة تصرفات ابي زيد.

كما نجد ذلك التسهيل في قوله : " فجلستُ عند رَاسِه ، حَتَّى هَبَّ مِنْ نَعَاسِه ، فَلَمَّا ارْدَهَرَ سِرَاجَاهُ ، وَاَحْسَبُ بِمَنْ فَاَجَاهُ ، نَفَرَ كَمَا يَنْفِرُ الْمُرِيْبُ... " ²⁵ فقد ابدلت الهمزة الفاء في الكلمتين: (راسه وفاجاه) ، وذلك لتكثيف حرف المد (الألف) للايقاع بالمفاجأة والخوف الذي اصاب ابا زيد من رؤيته للرجل في الصحراء قبل ان يكتشف انه الحارث .

وقد ابدلت الهمزة واوا في قول زوجة السروجي وهي تبكي شاكية زوجها : " قَلْتُ لَهٗ : يَا هٰذَا اِنَّهٗ لَا مَخْبَأَ بَعْدَ بُوسٍ ، وَلَا عَطْرَ بَعْدَ عَرُوسٍ " ²⁶ فقد ابدلت الهمزة في كلمة (بؤس) واوا ، وخلق تكرارها ايقاعاً يواكب اصوات نفسها الباطنة وما فيها من اشجان .

اما ايقاع ذلك الابقاع الذي يتولد من حرف السين " ذلك الصوت اللثوي " الاحتكاكي " المهموس الذي يتسرب الهواء عند النطق به محدثا احتكاكا مسموعا " ²⁷ في النص . فقد جعل منه ابو زيد السروجي وسيلة سحرية لجذب الناس ، يؤثر فيها على الناس بغية خداعهم وسلب اموالهم ، ومما يؤكد صحة ما ذهبنا اليه قول ابي زيد للحارث عندما سأله عن الطريقة التي خدع فيها القاضي : " لَوْ لَمْ تُبْرِزْ جِبْهَتَهُ السَّيْنِ ، لَمَّا قُنُقْتُ الْخَمْسِيْنَ " ²⁸ . ومن المواطن التي تكثف فيها صوت السين خالقا ايقاعا يوحى بالسحر والشعوذة ، ما نجده في المقامة الحلوانية حيث يدخل ابو زيد الى المسجد ويتسلل بين الناس بهدوء ليبدأ بنفث سحره

24 . المقامة السمرقندية : ص 240. مع ادناسك : مع خصالك الدنسة الرديئة . مدار كاسك : ادارة خمرك.

25 . المقامة البكرية : ص 370. ازدهر سراجاه : فتح عينيه.

26 . المقامة الاسكندرية : ص 78. بوس : الفقر ، لا عطر بعد عروس : مثل قالتها امرأة من عذرة مات عنها زوجها وكان يدعى عروس ، فتزوجها رجل انجر وامرها ان تتعطر فقالتها.

27 . عبد الرحمن ايوب ، اصوات اللغة ، ص 204.

28 . المقامة الرحبية : ص 90، الهاء في جبهته تعود على ابن ابي زيد فقد صَفَّ ابو زيد غرة ابنه بشكل حرف

السين فسحر القاضي ، فمنحهم خمسين درهما.

" قَسَلَّمَ عَلَى الْجَلَّاسِ ، وَجَلَسَ فِي أُخْرِيَاتِ النَّاسِ " ²⁹ يلحظ كيف تكثف حرف السين عند دخول ابي زيد موحياً ببداية السحر والخداع.

وفي " المقامة الدينارية " يظهر تكرار صوت السين في حديثه عن الفقر الذي اجتاحه ، وذلك في محاولته لخداع المستمعين وأخذ أموالهم " وَاسْتَوَطْنَا الْوَهَادَ ، وَاسْتَوَطْنَا الْقِتَادَ ، وَتَنَاسَيْنَا الْاِقْتَادَ ، وَاسْتَبَطْنَا الْحَيْنَ الْمَجْتَاحَ ، وَاسْتَبَطْنَا الْيَوْمَ الْمُتَاحَ ، فَهَلْ مِنْ حُرٍّ أَسٍ أَوْ سَمِجٍ مَوْأَسٍ " ³⁰ ويبدو ان زوجة ابي زيد قد تشرّبت شيئاً من حيله ، فها هي تستخدم عصاً زوجها السحرية لاثارة شفقة القاضي عليها فيكثر صوت السين في كلامها : "... فلما اسْتَحْرَجَنِي مِنْ كِنَاسِي ، وَرَحَلَنِي عَنْ أَنَاسِي ، وَنَقَلَنِي إِلَى كَسْرِهِ ، وَحَصَلَنِي نَحْتَ أُسْرِهِ... إِلَى أَنْ مَرَّقَ مَا لِي بِأُسْرِهِ ، وَأَنْفَقَ مَالِي فِي عُسْرِهِ ... وَلِي مِنْهُ سَأَلَةٌ كَأَنَّهُ خَلَالَةٌ... " ³¹ ، ويتأثر القاضي بكلام زوجة السروجي ويتسرب سحر السين في نفسه فيظهر في كلامه " فَأَقْبَلَ الْقَاضِي عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ قَدْ وَعَيْتُ قَصَصَ عِرْسِكَ ، فَبَرَهِنِ الْآنَ عَنْ نَفْسِكَ ، وَإِلَّا كَشَفْتُ عَنْ لَبْسِكَ ، وَأَمَرْتُ بِحَبْسِكَ " ³² . اما الحارث فيقدم لنا وصفا ظاهريا لابي زيد وهو يستعد لخداع جماعة من الناس ، فيكثف الحارث حرف السين في ذلك الوصف " وَكَانَ حَدِيثُهُمْ شَخْصٌ مَيْسَمُهُ مَيْسَمُ الشُّبَّانِ ، وَكَبُوسُهُ لَبُوسُ الرَّهْبَانِ ، وَبِيَدِهِ سُبْحَةُ النَّسْوَانِ... وَأَرْهَفَ أُذُنَهُ لِاسْتِرَاقِ السَّمْعِ... " ³³.

ويبدأ ابو زيد باستخدام سحر العصا السينية : " ... لِيَأْمَنَ سِرْبُكُمْ ، فَسَأَخْفِرُكُمْ بِمَا يَسْرُو رَوْعَكُمْ... ، وَأُسْنِيْنَا لَهُ الْجَعَالَةَ عَنِ السَّفَارَةِ... ، ثُمَّ إِنِّي سَأَنْفِي مَا رَابَكُمْ ، وَاسْتَسْلِلُّ

29 . المقامة الحلوانية : ص 24 .

30 . المقامة الدينارية : ص 30 . استوطننا الوهاد : اتخذنا ما انخفض من الارض بسبب الفقر حتى لا ترى نارهم الضيوف . استوطننا القِتَادَ : أي سرنا على الشوك . المجتَاح : المستأصل . اليوم المتاح : هو اليوم المقدر بالموت . استطبنا الحين : رأينا الهلاك طيباً .

31 . المقامة الاسكندرية : ص 78 . كِنَاسِي : منزلي واصله بيت الطيبي او بقر الوحش . كَسْرَةَ : جانب بيته . أُسْرِهِ : قيده واسره .

32 . المقامة الاسكندرية : ، ص 78-79 ، . قصص عرسك : ما قصته زوجك . لِبْسِكَ : إشكالك وتعمية امرك .

33 . المقامة الدمشقية : ص 102 ، حدثهم : أي خذاهم . ميسمه : علامته .

الْحَزْرَ الَّذِي نَابَكُمْ...، فَأَجِدُّوا سَعْدِي، وَأُسْعِدُوا جِدِّي...³⁴ ومن ذلك ايضا: " وفي وَسَطَ هَالْتِهَ ، وَوَسَطَ أَهْلْتِهَ شَيْخٌ قَدْ تَقَوَّسَ وَاقْعَنْسَسَ ، وَتَقَلَّنَسَ ، وَتَكَلَّسَ ، وَهُوَ يَصْدَعُ بُوَعْظٍ يَشْفِي الصَّدْرَ " ³⁵

وفي المقامة النصيبية يُصاب ابو زيد بمرض طال زمنه ولم يشف منه ، ويصور الحارث مقدار الحزن الذي اعتراهم ، بابيات من الشعر تنتهي بقافية السين المتلوة بحرف المدّ (الالف) ، وكانّ السين تبكي ابا زيد:

حَيَارَى يَمِيدُ بِهِمْ شَجْوُهُمْ كَأَنَّهُمْ ارْتَضَعُوا الْخَنْدَرِيْسَا
أَسْأَلُوا الْعُرُوبَ وَعَطَّوْا الْجِيُوبَ وَصَكَّوْا الْخُدُودَ وَشَجَّوْا الرُّؤُوسَا
يَوْدُونَ لَوْ سَأَلْتَهُ الْمُنُونَ وَغَالَتْ نَقَائِسُهُمُ وَالنَّفُوسَا³⁶

ومن صور الايقاع القائم على تكرار الصوت ، ذلك الايقاع المتولد من تكرار صوت الجيم ، وكثيرا ما ظهر هذا الايقاع في كلام الحارث عندما يتحدث عن ظهور ابي زيد بعد جو يسوده الهدوء " والجيم صوت انفجاري مجهور " ³⁷ يخلق عند السامع بعد سلسلة الحروف التي توحى اصواتها بالهدوء جوا يخالف ذلك النغم الروتيني فيثير الانتباه " واتخذنا نادياً نَعْتَمِرُهُ طَرْفِي النَّهَارِ ، وَنَنْهَادِي فِيهِ طَرْفَ الْاِخْبَارِ ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ فِي بَعْضِ الْاَيَامِ ، وَقَدْ اِنْتَضَمْنَا فِي سَلِكِ الْاِلْتِمَامِ ، وَقَفَ عَلَيْنَا ذُو مَقُولٍ جَرِيٍّ وَجَرَسِ جَهْوَرِيٍّ " ³⁸ كذلك يتكثف صوت الجيم في كلام ابي زيد بعد صمت طويل اثار دهشة المستمعين ، وجاء

34 . المقامة الدمشقية : ص102-103. ليأمن سربكم : يقال فلان آمن في سربه أي في نفسه واهله. اخفركم :

اجيركم واحميكم .

35 . المقامة الرائية : ص177 . اهْلْتِهَ : الناس المضيفة وجوهم كالاھلّة . اقعنسس: افراط قعسه وهو خروج صدره ودخول ظهره.

36 . المقامة النصيبية : ص165-166 . يميل : الخندريس : الخمر العتيقة. الغروب: جمع غرب : وهو الدو الكبيرة والمراد هنا مجاري الدموع . عطوا الجيوب: أي شقوها طولا . صكوا الخدود : لطموها . شجوا الرؤوس : جرحوها.

37 . عبد الرحمن ايوب ، اصوات اللغة ، ص209.

38 . المقامة الفارقة : ص171. نعتمره : نقصده ونعمره . انتضمنا في سلك الالتمام : توافقتنا متألفين . ذو مقول : صاحب لسان . جري : مقدم . جرس : صوت .

هذا الصوت مسبقاً بحرف المد (الالف) مما أوحى بالقوة وأثار الهيبة والخوف في النفوس ، فان لصوت الجيم وقعاً خاصاً اذا تكتف في السياق السردى : " ثم أطرق لا يُديرُ لحظاً ، ولا يحيرُ لفظاً ، حتى قلنا قد أبلستهُ حَشِيَّةٌ ، أو أحرستهُ عَشِيَّةٌ ، ثم أقنع رأسهُ وصعدَ انفاسهُ وقالَ : أقسمُ بالسماءِ ذاتِ الأبراجِ ، والأرضِ ذاتِ الفجاجِ ، والماءِ النَّجَّاجِ ، والسَّراجِ الوهاجِ ، والبحرِ العجاجِ ، والهواءِ العجاجِ ... " ³⁹ ولعل صوت الجيم وما يوحيه من قوة يلائم القسم بمظاهر قوة الله وقدرته ، ويتكتف صوت الجيم في كلام الحارث بعد ان استيقظ من نومه فوجد أبا زيد قد سرق ناقته ، فتسيطر عليه مشاعر الحيرة والقلق " ... فلم أفق إلا والليلُ قد تَوَلَّجَ ، والنَّجمُ قد تَبَلَّجَ ، ولا السَّروجي ولا المُسْرَجَ ... أساورُ الوجومِ ، وأساهر النَّجومِ ، أفكرُ تارةً في رُجلتي ، وأحرى في رجعتي " ⁴⁰ وكذلك يلحظ صوت الرء بشكل مكثف في الكثير من نصوص المقامات " والرء صوت لثوي متردد ، وللنطق به يلتقي طرف اللسان باللثة ويفارقها عدة مرات على التوالي... ويسمع هذا الصوت على صورة سلسلة من الانحباسات والانفجارات القصيرة " ⁴¹ . أما حرف الرء فهو يتسم بالتركرار ، يظل اللسان مرتعشا به زمنا ما كأنه يكرره. ⁴² ويمكن ملاحظة حضور هذا الصوت في المعنى وتأثيره في دلالة النص ، ومن ذلك ما نجده في هذه الابيات الشعرية التي قالها ابو زيد امام جمع من الناس لاستثارة شفقتهم وبالتالي دفعهم الى منحه ، فقال ابو زيد هذه الابيات وهو عاري الجلدة ، بادي الجردة ، يرتعد من شدة البرد :

يا قوم لا ينبئكم عن فقري أصدق من عرِّي أو أن الفُرَّ
فاعتبروا بما بدأ من ضُرِّي باطن حالي وخفي أمري
وحاذروا انقلاب سلم الدهر فإني كنت نبيه القدر ⁴³

39 . المقامة الدمشقية : ص 106 . الإبلاس : السكوت . الغشية : غمرة الاغماء . الأبراج : بروج الشمس . الفجاج :

الطرق الواسعة . النجاج : المتدفق . العجاج : الغبار الثائر من الهواء .

40 . المقامة الوبرية : ص 231 . تولج : دخل . تبلج : ظهر واضاء . أساور الوجوم : اواثب وادافع عني الحزن .

رجلتي : كوني راجلا حيث لم اجد غرسي .

41 . عبد الرحمن ايوب ، اصوات اللغة ، ص 203 .

42 . عز الدين علي ، التكرير بين المثير والتأثير ، ط 2 ، دار الطباعة المحمدية ، 1978 ، ص 8-9 .

43 . المقامة الكرجية : ص 213 (ينظر بقية الابيات في المقامة) ، . القر : الأبرد .

ثم يتبع هذه الابيات بقوله: " يا ارباب الثراء ، الرافلين في الغراء ، مَنْ أُوتِيَ خَيْرًا فَلْيُنْفِقْ ، وَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يُرْفِقَ فَلْيُرْفِقْ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا عُدُورٌ ، وَالدَّهْرُ عَثُورٌ " 44 .

نلاحظ في المثال اعلاه كيف تكتف صوت الراء في هذه النصوص حيث خلق ايقاعا يوحي بالعرشة ، والاهتزاز الواضح في كلام الحارث ، حيث انه من الخوف في حين ان ابا زيد يسرق اموال الناس بعد تخديرهم : " ...فقلت: أَقْسَمُ بِمَنْ أَطْلَعَهَا زُهْرًا ، وَهَدَىٰ بِهَا السَّارِينَ طَرًّا ، لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا نُكْرًا ، وَأَبْقَيْتُ لَكَ فِي الْمَخْزِيَّاتِ ذِكْرًا ، ثُمَّ حَرَّتْ فِكْرَةً فِي صَيُورِ أَمْرِهِ ، وَخِيفَةٌ مِنْ عَدْوَىٰ عَرِّهِ ، حَتَّىٰ طَارَتْ نَفْسِي شِعَاعًا ، وَأَرَعَدَتْ فَرَائِصِي ارْتِيَاعًا ، فَلَمَّا رَأَىٰ اسْتِطَارَةَ فَرْقِي ، وَاسْتِشْاطَةَ قَلْقِي ، قَالَ: مَا هَذَا الْفِكْرُ الْمُرْمُضُ ، وَالرُّوْعُ الْمَوْمِضُ؟ فَإِنْ يَكُنْ فِكْرُكَ فِي أَجْلِي مِنْ أَجْلِي ، فَأَنَا الْآنَ أَرْتَعُ وَأُطْفِرُ.... " 45 .

ويتكتف صوت الراء، ايضا، في وصف الحارث الغضب الذي انتاب ابا زيد "فتضجرَ وَزَمَجَرَ وَتَنَكَّرَ وَفَكَرَّرَ... " 46 .

.ومثال ذلك ايضا ما نجده في المقامة السنجارية حيث يصور ابو زيد غضب الوالي منه: "تجرّم وتضرمّ ، وحرّق عليّ الأرمّ.. " 47 ويظهر لنا تكتف حرف الراء بشكل واضح ، والراء اذا شددت احتدّت تكرارها ، وهذا يلائم تصوير ارتعاشات الغضب.

اما صوت القاف " وهو ذلك الصوت اللهوي الانفجاري المهموس " 48 تكتف في سياقات معينة ، خالقا ايقاعا يوحي بالقسوة والغضب والشدة ، ومن ذلك ما ورد في القسم الصارم الذي قطعه الحارث على نفسه : " فقلتُ : وَالَّذِي خَلَقَهَا طَبَاقًا ، وَطَبَّقَهَا إِشْرَاقًا ، لَا ذَقْتُ لِمَاقًا ، وَلَا لُسْتُ رُقَاقًا.... " 49 ويتكتف، ايضا، صوت القاف في عدد من السياقات التي فيها حديث

44 . المقامة نفسها : ص 213-214 .

45 . المقامة الواسطية : ص 249 . طرّا : جميعا . العر : الجرب . أرعدت : ارتعدت واهتزت . فرائصي : جمع فريصة وهي لحمة عند الكتف ترتعد عند الخوف .

46 . المقامة الدمشقية : ص 111 .

47 . المقامة السنجارية : ص 157 . تضرمّ : التهاب غيظا . حرّق : حك . الارم : الاضراس وقيل الاسنان ، تقول العرب : حرق علي الارم اذا حك بعض اسنانه ببعض وجعل اصبعه بينهما اظهارا للغيظ .

48 . عبد الرحمن ايوب ، اصوات اللغة ، ص 214 .

49 . المقامة الصورية : ص 260 . خلقها طباقا : السموات بعضها فوق بعض . طبقتها اشراقا : جعلها مشرقة وعمها بالنور . لماقا : قليلا من مأكول او مشروب . لست رقاقا : ذقت خبزا .

عن صعوبة الحياة وقسوتها ، ومنها قوله: " وَأَنَا يَوْمئذٍ فَقِيرٌ وَقِيرٌ ، لا فتيل لي ولا نقيرٍ ...فألجأني صَفْرُ اليدين ، إلى النَّطْوِقِ بِالْدَيْنِ ، فَأَدَّنتِ لِسُوءِ الاتِّفَاقِ ، مَمَّنْ هُوَ عَسِرُ الاخلاقِ ، وتوهمتُ نَسْيَ النَّفَاقِ ، فتوسعتُ في الإِنْفَاقِ..... " ⁵⁰ وقوله للحارث شارحا مقدار صعوبة الحياة مع زوجته: " ...فلقيت منها عَرَقَ القربَةِ ، تمَطَّلُني بحَقِّي ، وتُكَلِّفُني فوقَ طَوْقِي...فإن انتظمتَ بيننا الوفاقَ ، والا فالطَّلَاقُ والانطلاقُ " ⁵¹ . وساهم الإيقاع المتولد من تكرار صوت القاف أيضا في تعميق صورة ذلك الشيخ الذي اثرت صعوبة الحياة وهمومها على هيئته : ...شيخ قد تقوسَ واقعُسنَسَ وتقلَّسنَسَ وتطلَّسنَسَ.. " ⁵² ثم صعوبة الفراق:

" فما راقني من لاقني بعد بعده ولا شاقني من ساقني لوصاله " ⁵³

كما يتكثف صوت القاف عندما يقترن بحرف من حروف المد ، ومثال على ذلك ما نجده في المقامة الرقطاء حيث يستدين ابو زيد مبلغا من رجل لثيم ، وحين يأتي موعد سداد الدين يعتذر ابو زيد لهذا الرجل طالبا منه ان يصبر عليه ريثما تنفرج ضائقته ، فيقول : " لم يصدَّقْ إملاقي ، ولا نزعَ عن إرهابي ، بل جدَّ في التَّقاضي ، ولجَّ في اقتيادي إلى القاضي " ⁵⁴ فالإيقاع المتولد من تكرار صوتي القاف والالف يوحي بالشدة والقسوة التي عاناها ابو زيد . ويتكثف صوت القاف في الحوار القائم بين ابي زيد وزوجته وذلك في المقامة التبريزية ، حيث اخذ الزوجان يتبادلان الشتائم ، فاستخدام الحروف ذات الطابع الانفجاري في تبادل الشتائم يلائم الجو العام : " ورنوتُ اليك ، فالفيئك اقبح من قرده ، وأيبس من قده ، ...وأثقل من هيضة ، وأقدر من حيضة ، وأبرز من قشرة ، وأبرد من قررة ، وأحمق من رجلة " ⁵⁵ فترد عليه زوجته : " ... وانت تعلم أنك احقر من قلامه ،

50 . المقامة الرقطاء : ص 221. الوكير : الذي اوقره الدين أي اثقله . لا فتيل لي ولا نقير: أي لا املك شيئا.

51 . المقامة التبريزية : ص 345-346.

52 . المقامة الرانزية : ص 177 . اقعنسس : افرط قعسه وهو خروج صدره ودخول ظهره. تطلس : لبس الطيلسان وهو لباس النسك .

53 . المقامة الحلوانية : ص 24. لاقني : علق بي ولزمني . ساقني : حثني .

54 . المقامة الرقطاء : ص 222 .

55 . المقامة التبريزية : ص 347.

وأعيبُ من بَغلةِ أبي دُلامة، وأفصحُ من حَبقةِ في حَلقة ، وأحيرُ من بقةِ في حُقّة...⁵⁶ وقد تكرر صوت القاف ويتكرر معها صوت العين في الشتائم بالاضافة الى تكرر حروف المد خاصة الالف لاطالة الصوت وايصاله للمشتوم : " ففرط منه ان قال : يا يلامع القاع، ويرامع البقاع...حتى كَأَنكُمْ كَلَّفْتُمْ مَشَقَّةً لَا شَقَّةَ."⁵⁷

وفي المقامة الرابعة والاربعين " الشتوية " اقترن حرف الواو مع حرف الراء في الدلالة على كثرة الخير وعظمة النعمة في منزل رجل ثري : " واقْتادني إلى بيتِ عشارُهُ تَحورُ ، وأعشارُهُ تَفورُ ، وولائذُهُ تمورُ ، وموائذُهُ تدورُ .."⁵⁸ ، وهذا التكرار يوحي باستمرار الحركة والصوت في هذا المنزل الذي يعجّ بالحياة .

كذلك تتكرر اصوات حروف المدّ عند تبادل الشتائم ، ومن ذلك ما نجده في المقامة " الحجرية " حيث يتشاجر ابو زيد مع غلام يحتاج الحجامه ، ويقول الغلام : " فَإِنْ يَكُنْ سَبَبُ تَعَبُكَ نِفَاقُ صَنَعَتِكَ ، فَرَمَاهَا اللَّهُ بِالْكَسَادِ وَإِفْسَادِ الْحَسَادِ "⁵⁹ فيرد عليه الحجام : " بَلْ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِثَرِّ الْفَمِ ، وَتَبَيَّعَ الدَّمِ ، حَتَّى تَلْجَأَ إِلَى حِجَامٍ عَظِيمِ الْإِشْتِطَاطِ ، ثَقِيلِ الْإِشْتِرَاطِ ، كَلِيلِ الْمِشْرَاطِ ، كَثِيرِ الْمُخَاطِ وَالضَّرَاطِ "⁶⁰ فتكرر الألف والياء خلق ايقاعا يلائم مد الصوت وارتفاعه.

كما يخلق تكتيف الألف والنون في بداية المقامة ترنيما موسيقيا يشد انتباه السامع ، يقول الحارث : " رأيتُ أعاجيبَ الرِّمانِ ، أنْ تقدَّمَ خصمانِ إلى قاضيِ مَعْرَةِ النُّعمانِ ، أحدهُما قدْ ذهبَ منه الأُطيبانِ ، والآخرُ كأنَّهُ قضيبُ البانِ "⁶¹ فهذه الموسيقى تلائم جو الحكاية التي يبدا بها الحارث.

56 . المقامة التبريزية : 348

57 . المقامة الفارقة : ص 173 - 174 . اليلمع : السراب . اليرامع : حجارة بيض لها بريق ، وهذا مثلان يضربان لمن يطمع منظره ويخلف مخبره .

58 . المقامة الشتوية : ص 384 ، العشار : النوق الحوامل . تخور : لها خوار . الاعشار : هي القدور . تفور : تغلي . الولائد : جمع وليدة وهي الجارية . تمور : تجيء وتذهب لخدمة الاضياف .

59 . المقامة الحجرية : ص 419.

60 . المقامة نفسها والصفحة نفسها . بثر الفم : دمل صغير يخرج جانب الفم . تبئغ الدم : هيجانه .

61 . المقامة المعريّة : ص 69 . معرة النعمان : من قرى بلد الشام واليها ينسب ابو العلاء المعري .

كما نجد هذه الموسيقى الإيقاعية في وصف سحر الجارية وجمالها : " إِنَّ سَفَرَتْ حَجَلُ
النَّيْرَانُ ، وَصَلِيَتْ الْقُلُوبُ بِالنَّيْرَانِ ، وَإِنْ بَسَمَتْ أُرْرَتْ بِالْجَمَانِ وَبِيعَ الْمَرْجَانُ
بِالْمَجَانِ.. " ⁶²

الإيقاع السجعي

من الصور الإيقاعية في المقامات الحريرية ، تلك التي تنبع من التزام السجع ، فالسجع يخلق
إيقاعاً متعددًا في أنماطه ودلالاته . وقد برز هذا الإيقاع السجعي في أسلوب الترصيع " وذلك
إذا كان في إحدى هاتين القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى
في الوزن والتقفية " ⁶³ ، ومن ذلك قول الحارث بن همام : " ...حَتَّى أَدَّتْنِي حَاتِمَةُ الْمَطَافِ
، وَهَدَّتْنِي فَاتِحَةُ الْأَطَافِ... " ⁶⁴ ، وقوله : " ...وَهُوَ يَطْبَعُ الْأَسْجَاعَ بِجَوَاهِرِ لَفْظِهِ ، وَيَقْرَعُ
الْأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرِ وَعَظِهِ " ⁶⁵ ، وقوله : " أَطْرَفْنَا بِغَرِيْبَةٍ مِنْ غَرَائِبِ أَسْمَارِكَ ، أَوْ عَجِيْبَةٍ
مِنْ عَجَائِبِ أَسْفَارِكَ " ⁶⁶ وقد يقوم الإيقاع على صوتين يلتزم بهما ليوفر السجع ،
ويحدث هذا الإيقاع تناسبا صوتيا ، ومثال ذلك قول أبي زيد : " أَثْبَتُوها فِي عَجَائِبِ الْإِتْفَاقِ
، وَخَلَّدُوها بِطَوْنِ الْاَوْرَاقِ ، فَمَا سَيَّرَ مِثْلُها فِي الْاَفَاقِ " ⁶⁷ .
وقد يقوم السجع على الالتزام بثلاثة اصوات ، كقول الرجل لابي زيد : " فَإِنْ كُنْتَ صَدَعْتَ
عَنْ وَصْفِكَ بِالْيَقِيْنِ ، فَأَتِ بَآيَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِيْنَ " ⁶⁸ فالسجع - كما لاحظنا - يحقق
توازنا بين الجمل المسجوعة ومن الجدير بالذكر ان السجع يعتبر ملتزما في كل مقامات
الحريري ، مما يجعل إيقاعه متوقعا .

62 . المقامة السنجارية : ص 154 - 155 . الجمال : جمع جمانه : وهي اللؤلؤة . المرجان : خرز احمر يعمل من
نبات يوجد في البحر الرومي .

63 . محمد ربيع ، علوم البلاغة العربية ، ص 173 .

64 . المقامة الصنعانية : ص 16 . فاتحة الالطاف : أول أطاف الله بي .

65 . المقامة نفسها والصفحة نفسها . يطبع الاسجاع : أي يصوغها ويرتبها وهي ما كان له فواصل كقوافي الشعر .

66 . المقامة الكوفية : ص 45 .

67 . المقامة الكوفية : ص 47 . فما سير مثلها : فما كتب مثلها .

68 . المقامة المراغية : ص 55 . صدعت : كشفت عما انت عليه . بآية : بعلامة تدل على وصفك .

وفي عدد من القصائد التزم الحريري التصريع " والتصريع مأخوذ من مصراعي الباب ، وهو جعل العروض مقفاة تقفية الضرب " ⁶⁹ والتصريع قسم من اقسام السجع في الشعر ، ومن الابيات التي التزم بها التصريع نأخذ على سبيل المثال البيتين التاليين :

" أكرم به أصفَرَ رَاقَتِ صُفْرَتُهُ جَوَابَ آفَاقِ تَرَامَتِ سَفْرَتُهُ
مَأْثُورَةٌ سَمِعْتُهُ وَشَهْرَتُهُ قَدْ أُودِعْتُ سِرَّ الْغَنَى أُسْرَتُهُ " ⁷⁰

ان التصريع في هذه الابيات قد زاد من الايقاع الموسيقي ، ذلك ان الشعر موزون مقفى في اساسه . وهناك قصيدة شعرية طريفة ، لها قالب غريب ، وهي القصيدة الرائية التي تحتوي في داخلها قصيدة دالية ، وهذا بدوره يزيد في الايقاع الموسيقي في القصيدة . يقول ابو زيد في مطلعها :

" يا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدَّنِيَّهَ إِنَّهَا شَرَكُ الرَّدَى وَقَرَارَةُ الْاِكْدَارِ
دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكَتْ فِي يَوْمِهَا أَبْكَتْ عَدَاً بُعْدًا لَهَا مِنْ دَارِ " ⁷¹

اما القصيدة الداخلية فتسير على النسق التالي :

" يا خَاطِبَ الدنِيا الدنِى
دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكَتْ
ةِ إِنَّهَا شَرَكُ الرَّدَى
فِي يَوْمِهَا أَبْكَتْ عَدَاً " ⁷²

ومن صور الايقاع القائم على تكرار الصوت هو ذلك الايقاع المتولد من تكرار نوع معين من الاصوات في الالاعيب اللغوية التي اشتهر بها الحريري في مقاماته : ففي المقامة السادسة رسالة حروف احدى كلماتها يعمها النقط ، وحروف الاخرى لم يعجمن قط : " الْكِرْمُ ثَبَّتَ اللهُ جَيْشَ سَعُودِكَ يَزِينُ ، وَاللَّوْمُ غَضَّ الدَّهْرُ جَفْنَ حَسُودِكَ يَشِينُ... " ⁷³ . ففي هذه الرسالة يتوقع القاريء الايقاع ، فالرسالة تسير وفق خطة معينة . وبعد اجراء عمل احصائي

69 . محمد ربيع ، علوم البلاغة العربية ، ص174 .

70 . المقامة الدينارية : ص31 . (انظر بقية ابيات القصيدة في الصفحة نفسها) ترامت : بعدت سفرته . الاسرة : خطوط الجبهة وعنى بها النقوش التي في الدينار .

71 . المقامة الشعرية : ص192 . (انظر بقية ابيات القصيدة في الصفحة نفسها) يا خاطب : يا طالب . الاكدار : الهموم .

72 . المقامة الشعرية : ص193 . (انظر بقية الابيات في الصفحة نفسها) .

73 . المقامة المراغية : ص56 . (انظر بقية الرسالة في المقامة) .

رصدنا فيه عدد مرات تكرار كل حرف من حروف هذه الرسالة وجدنا ان اكثر الحروف المعجمة استخداما هو حرف الياء ، واكثر الحروف المهملة استخداما هي حروف المد الالف والواو.

وفي المقامة " الرقطاء " ، احد حروفها منقوطة والآخر غير منقوطة : " اخلاق سيّدنا تُحبّ ، وَبِعَقْوَتِهِ يُلَبّ ، وَفُرْبُهُ تُحَفّ ، وَنَائِيَةُ تُكَلّفُ ، وَحَلْتُهُ نُسَبّ ، وَقَطِيعَتُهُ نَصَبّ ، وَغَرْبُهُ دَلِقّ ، وَشُهْبَةُ تَأْتَلِقُ.... " ⁷⁴ وبعد احصاء عدد مرات تكرار كل حرف وجدنا ان حرف الالف هو اكثر الحروف المهملة استخداما ، اما اكثر الحروف المعجمة تكرارا فهو حرف الباء.

وفي المقامة " الواسطية " خطبة خالية من الحروف المعجمة منها : " الحمد لله الملك المحمود ، المالك الودود ، مُصوّر كل مولود ، وَمَال كلّ مطرود ، ساطح المهاد وموطد الاطواد ، ومرسل الامطار ومسهل الاوطار.... " ⁷⁵ واكثر الحروف المهملة في هذه الخطبة تكرار حرفي الالف واللام ايضا.

من هنا وجدنا كيف ان الايقاعات السابقة في هذه المقالة التي كشفنا فيها عن بعض الاساليب المتميزة لدى الحريري ، متولدة من ذلك الترتيب والتنظيم المقصودين ، ولا يشعر القاريء بها الا اذا أشار الكاتب الى ذلك ، شارحا سرها ، اذ لا يمكن ادراكها الا بتدقيق النظر والتأمل.

الإيقاع اللفظي

يفرق عز الدين اسماعيل بين مصطلحين في الايقاع اللفظي وذلك من خلال مستويين:

1. التكرار

2. التردد

فهو يعرف التكرار على انه " ما كرر فيه اللفظ بمعناه على الوجه الذي عدّوه من الاطناب، فالتكرار هو ان يكرر المتكلم الكلمة بعينها (أي باللفظ والمعنى) " ⁷⁶.

اما التردد فيعرفه بانه " نوع من الانواع البديعية التي عمادها التكرير، وهو ان يأتي المتكلم

74 . المقامة الرقطاء : ص222 . بعقوته : بفنائته . ألب بالمكان : أقام به.

75 . المقامة الواسطية : ص247 . مأل : ملجأ . ساطح المهاد : باسط الفراش ، والمراد به الارض . الاطواد : جمع الطود : وهو الجبل . الاملاك : الملوك .

76 . عز الدين علي ، التكرير بين المثير والتأثير ، ص245.

بلفظة ثم يرددها بعينها ويعلقها بمعنى آخر " 77 . وبناء على التعريفين نرى ان كلّ ترديد تكرر وليس كلّ تكرر ترديدا، لان الالفاظ المكررة تتحد في المبنى والمعنى في حالة التكرار، وتختلف الالفاظ في بعض الدلالة في حالة التردد. ومن مظاهر اليقاع في مقامات الحريري، ما نجده في المقامة " التبريزية " حيث يكرر اسم الاشارة (هذا) سبع مرات في كلام القاضي الذي اضطربت نفسيته وانهارت اعصابه من خداع ابي زيد وكيده، وكذلك تكراره لكلمة (اليوم) مما يوحي بايقاع يدل على الضيق والغضب: " وقال: ما هذا يومٌ حُكْمٌ وَقَضَاءٌ، وَفصل وَإمضاء، هَذَا يَوْمٌ الاغْتِرَامِ، هَذَا يَوْمٌ البُحْرَانِ، هَذَا يَوْمٌ الحُسْرَانِ! هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ، هَذَا يَوْمٌ نُصَابٌ فِيهِ وَلَا نُصِيبُ! " 78 .

ومن انواع التكرار الاخرى تلك التي يستعملها ابو زيد للحصول على الاموال وذلك للتأثير على الجماعة التي رافقها في البحر طالبا منهم الاجر على الدعاء الذي حصنهم به من مخاطر البحر وذلك في قوله: " الاِعاَنَةُ الاِعاَنَةُ " فقد يوحي هذا التكرار بالاغراء، والاغراء هو الدعوة لفعل شيء . وفي المقامة الديمياطية عكس التكرار لهفة الحارث لعودة ابي زيد: " فقلتُ: إِذَا سَبَّتَ فَالسُّرْعَةُ السُّرْعَةُ، وَالرَّجْعَةُ الرَّجْعَةُ " 79 ، ولكن يسرع ابو زيد في الرحيل قائلا لابنه " بَدَارٌ بَدَارٌ " 80 انه الفرار دون عودة، فتكرار كلمة بدار وسيلة تعبر عن رغبة ابي زيد للخلاص من شرّ يحذر منه. وقد ظهر هذا النوع من اليقاع للدلالة على التشويق لمجالسة ابي زيد مرة أخرى في قول الجماعة التي استقبلته للغلام الذي يعدّ الطعام " ...هَيَا هَيَا وَهَلْمٌ مَا تَهَيَّا " 81 وقد يستعمل التكرار في احيان اخرى لاتباع وسيلة التحذير، ونجد مثل هذا الاستعمال في تحذير وتهديد الرجل لابي زيد في الأيكذب عليه للوصول الى الطعام، يقول: ... وَهَذَا أَنَا قَدْ ائذَرْتُكَ قَبْلَ أَنْ يَنْتَهَكَ السِّتْرُ وَيَنْعَقِدَ فِيمَا بَيْنَنَا الْوَتْرُ، فَلَا تُلْغِ نَدْبَرَ

77. المصدر نفسه، 249.

78. المقامة التبريزية، ص 352. امضاء: تنفيذ الحكم . البُحْرَانِ: هو اليم الذي يحدث فيه التغيير للمريض دفعة في الامراض الحادة.

79. المقامة الديمياطية، ص 40.

80. المقامة نفسها والصفحة نفسها.

81. المقامة الكوفية: ص 43. هَيَا هَيَا: عَجَلْ عَجَلْ. هَلْمٌ: هات. تَهَيَّا: حصل.

الإنداز، وَحَذَارٍ مِنَ الْمَكَادِبَةِ حَذَارٍ⁸² كما ويأتي التكرار دالا على النصح، وذلك في الاغراء والتحذير، كقول ابي زيد ناصحا الناس بتقوى الله " الله الله رعاكمُ الله "⁸³ او كقول ابي زيد الذي بدأ يهدده في ان يجعله عبرة لمن يعتبر ان لم يكشف عن هويته: " فاطرق أبو زيد إطراق الشُّجاعِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ سَمَاعٌ سَمَاعٌ "⁸⁴ . كما ورد ايقاع التكرار اللفظي في اسلوب التعجب والتهويل والتفخيم: " وهذه الوان من روعة النفس للشيء الذي يستغرب او يُستعظم، فنجد اسلوب التكرير مسعفا لها بالكشف عن انفعالها به "⁸⁵ ومن ذلك ما نجده في المقامة التنيسية حيث يقف ابو زيد واعظا الناس مشفقا عليهم، فيقول متعجبا من حال الانسان الذي غرته الحياة: " مسكين ابن آدم واي مسكين "⁸⁶، وقوله: يا عجبا كل العجب "⁸⁷.

ومن اسلوب التكرار اللفظي، تكرير الفعل .ويستعمل احيانا ليدل على التهويل في قبح الخديعة كقول الحارث لابي زيد: " أنسيت أنك احتلت وحتلت ، وَقَعَلْتَ فَعَلْتَكِ التي فَعَلْتَ "⁸⁸ ففي هذا التكرار تكتيف للفعل التي قام بها ابو زيد. وكذا قول الحارث بن همام: " قَدَمًا وَقَدَّتِ النَّمِيمَةُ خَيْرَ الْبَشَرِ ، حَتَّى انْتَشَرَ عَنِ حَمَالَةِ الْحَطْبِ مَا انْتَشَرَ "⁸⁹. كما تتكرر الالفاظ للدلالة على التتابع والترتيب كما في قول الحرث: " فرصئدها وهي تستقري الصُّفوفَ صَفًّا صَفًّا ، وَتَسْتَوِكِفُ الْأُكْفَ كَفًّا كَفًّا "⁹⁰ وقول الزوجة شاكية الى القاضي كذب

82. المقامة الفرضية : ص132. الوتر: الحقد والبغضاء . فلا تلغ تدبر الانذار: فلا تترك النظر والتأمل بالفكر في عاقبة الامور.

83. المقامة السمرقندية : ص238. الله الله : اتقوا الله.

84. المقامة التبريزية : ص349.

85. عز الدين ، التكرير بين المثير والتأثير، ص127.

86. المقامة التنيسية : ص354.

87. المقامة نفسها والصفحة نفسها.

88. المقامة الزبيدية: ص302. حتلنت : خدعت.

89. المقامة السنجارية: ص158. حمالة الحطب: هي ام جميل بنت حرب عمه معاوية بن ابي سفيان امرأة ابي لهب وكانت تطرح الشوك في طريق النبي واصحابه لتؤذيهم وكانت تمشي بالنمائم الى قريش فتحرضهم عليه.

90. المقامة البرقعيدية : ص63. تستقري: تتبع . تستوكف: تطلب الوكف وهو ما يسيل سيلا خفيفا، كناية عن قليل العطاء.

زوجها: " وادعى أنه طالما نظمت دُرَّةً الى دُرَّة، فباعهما ببدرة⁹¹ وقول الحارث: " وَسِرْتُ تَلْفُظْنِي أَرْضٌ إِلَى أَرْضٍ " ⁹² ومن صور الإيقاع القائم على التكرار الكلمة (ابي) لغاية تعليمية، حيث وردت عشر مرات في الكنى اللفظية والكنيات الصوفية، مما خلق إيقاعا متسلسلا، وكذلك كلمة (ام) التي وردت في المقامة ذاتها ثلاث مرات: ابو زيد يأمر ابنه ان يحضر: " فَاَسْتَدْعُ أَبَا جَامِعٍ فَإِنَّهُ بُشِّرِي كُلَّ جَائِعٍ، وَأُرْدَقُهُ بِأَبِي نُعَيْمٍ. الصَّابِرِ عَلَى كُلِّ ضَيْمٍ، ثُمَّ عَزَّرَ بِأَبِي حَبِيبٍ الْمُحَبَّبِ إِلَى كُلِّ لَبِيبٍ... وَحَيَّ هَلْ بِأَمِّ الْقَرِيِّ الْمَذْكُورَةِ بِكِسْرِي، وَلَا تَتَنَاسَ أُمَّ جَابِرٍ، فَكَمْ لَهَا مِنْ ذَاكِرٍ، وَنَادَى أُمَّ الْفَرَجِ، ثُمَّ افْتَكَّ بِهَا وَلَا حَرْجٍ، وَاحْتَمَّ بِأَبِي رَزِينٍ، فَهُوَ مَسْأَلُهُ كُلَّ حَزِينٍ، وَإِنْ تَقَرَّرَنْ بِهِ أَبَا الْعَلَاءِ... " ⁹³ ومنها: " وَاجَازَةٌ مِيلٌ بَعْدَ مِيلٍ " ⁹⁴ وهذا التكرار للكلمات الدالة على المسافة. وقد يتكرر اللفظ لتوضيح معنى الكلمة وتقريبها الى الفهم، كقول الحارث: " فَإِذَا أَلْمَعَيْتِي أَلْمَعِيَّةُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَرَّاسَتِي قَرَّاسَةُ إِيَّاسٍ " ⁹⁵، وذلك للدلالة على فطنته وذكائه.

وقد يأتي التكرار نيابة عن كلام محذوف لاستقباح ذكره ومثاله قول الحارث: " فَفَقَّهُوا مِنْ كَيْتٍ وَكَيْتٍ وَلَعَنُوا ذَلِكَ الْمَيْتَ " ⁹⁶ وقوله: " وَكَانَ حَدِيثُهُمْ شَخْصٌ مَيْسَمَةٌ مَيْسَمٌ الشُّبَّانِ، وَلَبُوسَةٌ لَبُوسٌ الرَّهْبَانِ " ⁹⁷ وهو التكرار الذي يدل على بيان هيئة ذلك الرجل ونلاحظ هنا ان الكلمة جاءت في حالة الاضافة، اذ تتضمن صورة هذه الكلمة مكررة بلفظها

91. المقامة الاسكندرية: ص77. البدرة: عشرة آلاف درهم.

92. المقامة النصيبية: ص164.

93. المقامة النصيبية: ص169. ابو جامع: الخوان. أردفه: اتبعه. ابو نُعَيْمٍ: هو الخبز الحواري وهو المصنوع من خالص الدقيق. ابو حبيب: الجدي من المعز. أم القرى: السكياج وهو طعام فيه خل. كسرى: ملك فارس ولعله هو الذي اخترعها. ام جابر: الهريسة. ام الفرج: الجؤذاب، طعام يتخذ من سكر ورز ولحم. ابو رزين: هو الخبيص. ابو العلاء: الفالوذج.

94. المقامة البكرية: ص369.

95. المقامة البرقعيدية: ص66. ابن عباس: كان معروفا بالفطنة والاصابة في الحدس. إياس: هو ابن معاوية بن قره المزني المضروب به المثل في الذكاء.

96. المقامة الفارقية: ص175. كيت وكيت: حكاية ما مضى من الحديث.

97. المقامة الدمشقية والغوطية: ص102. حذتهم: أي حذاءهم، بجانهم. ميسمه: علامته.

مع تقارب معناها.

ومن صور الإيقاع التي يعتمد على تكرار اللفظ ، هو تكرار اداة من الادوات، ومنها تكرار اداة الاستفهام الهمزة في قول القاضي وقد تملكه الغضب من قول أبي زيد وزوجته: " إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ، أَرَشِقُ فِي مَوْقِفِ سَهْمَيْنِ؟ أَلَزَمَ فِي قَضِيَّةِ بَمَعْرَمَيْنِ؟ أَطِيقُ أَنْ أَرْضِيَ حَصْمَيْنِ؟ وَمِنْ أَيْنَ وَمِنْ أَيْنَ؟" ⁹⁸ وتكرر لا النافية في كلام الزوجة الغاضبة على زوجها لتأكيد رفضها للبقاء معه، فتقول: " أَتُظُنُّنِي أَرْضَاكَ إِمَامًا لِمَحْرَابِي ، وَحُسَامًا لِقْرَابِي ، لَا وَاللَّهِ وَلَا بَوَابًا لِبَابِي وَلَا عَصَا لِحْرَابِي " ⁹⁹ ومن ذلك تكرار اداة النداء (يا) عندما يتبادل الشتام كل من ابي زيد وزوجته، لان اداة النداء هي تنبيه للخصم لاثارة غضبه، يقول ابو زيد لزوجته: " وَيُكَلِّكِ يَا دَفَارِ يَا فَجَارِ يَا عُصَّةَ الْبَعْلِ وَالْجَارِ " ¹⁰⁰.

الترديد:

وهو نوع من انواع البديع التي عمادها التكرير ، وهو ان يأتي المتكلم بلفظة ثم يرددها بعينها ويعلقها بمعنى يختلف قليلا عن دلالة اللفظ الاول ¹⁰¹ ومنه قول الحارث لاصحابه مادحا ابا زيد " فَإِنْ يَكُنْ أَفْلَقَمْرُ الشُّعْرَى، فَقَدْ طَلَعَ قَمْرُ الشُّعْرِ، أَوْ اسْتَنْتَرَ بَدْرُ النَّثْرِ فَقَدْ تَبَلَّجَ بَدْرُ النَّثْرِ " ¹⁰² فقد خلق ترديد الالفاظ (قمر، بدر) ايقاعا منتظما، وقام هذا الايقاع على تشابه اللفظين في الصوت والبناء مع فارق دلالي جزئي في احد اللفظين ناتج عن تحكم السياق، فالقمر الثاني ليس ذلك الكوكب المعروف لدي الجميع ولكنه ابو زيد، والبدر الثاني ليس

98 . المقامة التبريزية: ص352.

99 . المقامة نفسها : ص348.

100 . نفسها : ص347 . يا دفار يافجار: يا نتنة يا فاجرة.

101 . عز الدين علي ، التكرير بين المثير والتأثير، ص249.

102 . المقامة الكوفية: ص44. الشعري: كوكب معروف . استنتر: اختلف. النثرة : احدى منازل القمر. تبلج: أي

اضاء.

أحدى منازل القمر ولكنه أبو زيد، فالاستعمال السياقي للفظتين (قمر، بدر) يجعلهما مختلفان دلاليا عن القمر والبدر الحقيقيين. فقمر الشعر وهو أبو زيد يقترب في دلالته من القمر المعروف في السماء لان القمرين يبددان الظلام من حولهما، فابو زيد المعروف باشعاره البديعة التي تفوق بها على ابناء عصره، يضيء ما حوله من ظلام الجهل وفساد الألسنة والقرائح، وكذلك القمر يشرق بنوره وسط الليل الحالك . ومثل هذا يقال في كلمة (بدر).

إيقاع الجناس

والجناس " هو الاتيان بمتماثلين في الحروف او في بعضهما او في الصورة ، او في زيادة في احدهما او بمتخالفين في الترتيب او الحركات او بمماثل يرادف معناه مماثلا آخر نظما " ¹⁰³ فهو اتفاق اللفظين في وجه من الوجوه مع اختلاف معانيهما " ¹⁰⁴.

وفي هذا القسم سنعمل على دراسة الوظيفة التي يؤديها الجناس، أي أننا سنقف عند الاطر الدلالية التي يكون فيها الدالان متماثلين او متقاربين والمدلولان مختلفين، دون التطرق الى انواع الجناس وتصنيفاته . ولا شك ان الحريري كان مولعا بالجناس، فقد حوت مقاماته عددا كبيرا من الجناسات بنوعيه التام والناقص، ويأتي الجناس الناقص في المرتبة الاولى. ومما يوفر الايقاعية في النص هو ان الحريري كان يورد الالفاظ المتجانسة في نهاية التراكيب، بحيث يرد اللفظ الاول في خاتمة الجملة ويرد اللفظ المتجانس في خاتمة جملة أخرى .

وقد جاءت مثل هذه الصور على الاغلب لاتمام المعنى واكماله، ومن ذلك قول الشيخ للقاضي متهما تلميذه بسرقة اشعاره: " ما أَحَدَثَ سِوَى أَنْ بَتَرَ شَمْلَ سِرْحِهِ ، وَأَعْمَرَ عَلَى سِرْحِهِ " ¹⁰⁵ ومثاله: " وَلَا أَصَافِي مَنْ يَأْبَىٰ إِنْصَافِي ، وَلَا أُوَاحِي مَنْ يُلْغِي الْأُوَاحِي ، وَلَا أُمَالِي مَنْ يُحَيِّبُ أُمَالِي ، وَلَا أَبَالِي بِمَنْ صَرَمَ حِبَالِي ، وَلَا أَدَارِي مَنْ جَهَلَ مِقْدَارِي ، وَلَا

103 . الصفدي ، صلاح الدين بن ابيك، جنان الجناس، ص19-20.

104 . العلوي ، الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982، 3/351.

105 . المقامة الشعرية : ص192 . ما أحدث : ما زاد. بتر: قطع. شمل سرحه: اجتماع فرائده. السرح : المال السائم،

يريد به اجزاءه.

أُعْطِي زِمَامِي مَنْ يُخْفِرُ زِمَامِي " 106 وقد يفصل بين المتجانسين في هذه الصورة بالجار والمجرور، وينزع المتجانسان هنا الى التحديد والتخصيص: " وَلَا أُعْرَسُ الْأَيْدِي فِي أَرْضِ الْأَعَادِي " 107 ومن صور الجناس الاخرى، جناس الاشتقاق وهو ما تجانس ركناه في الاصل واختلفا في الهيئة، اذ كل منهما على صورة الاشتقاق مع المحافظة على ترتيب الحروف الاصلية في الركنين. ومن انماط هذه الصورة التي وردت بكثرة في المقامات ان يكون الطرف الاول في المجانسة فعلا والآخر مصدرا لهذا الفعل، ومنه قول الحارث: " فَقَصَدْتُهُمَا قَصْدًا كَلَفَ بَدَمَاتَهُمَا " 108 وقد يفصل بين المتجانسين باسم معطوف على غير الطرف المتجانس الاول، وترتبط المجانسة هنا بالتفصيل، ومن ذلك قول ابي زيد " ففصلت عنهُ بكبد مرضوضة ودموع مفضوضة " 109 وقوله: " وَاللَّهِ بَلَّ نَوَازِنُ فِي الْمَقَالِ وَرَنَّ الْمُنْقَالِ، وَتَحَادَى فِي الْفِعَالِ حَذْوُ النَّعَالِ " 110 وقد تدل هذه المجانسة على الحال والنوع معا ومثاله: " فَلَبِنْنَا نَرْقُبَةَ رَقَبَةِ الْأَعْيَادِ " 111 ومثاله: " فَوَقَفَ وَفَقَّةً مُتَهَافَتٍ، وَحَيَا نَحِيَّةً خَافَتِ " 112 فهذه المجانسة تدل على هيئة ابي زيد عند وقوفه وكلامه.

كما يأتي الإيقاع دالا على التقابل بين طرفي الجناس، واكثر الامثلة التي تندرج تحت هذه الصورة تضمنت الدلالة على التقابل بين الامور المادية والامور المعنوية، ومن ذلك قول ابي زيد في مدح الوالي: " وَنَائِلٌ يَدِيهِ فَاضٌ، وَشَحٌّ قَلْبِهِ غَاضٌ " 113 وقد دلت المجانسة بين اللفظين المتضادين (فاض وفاض) على كثرة العطاء وتدفعه، وزوال الكراهية والحق من قلب هذا الوالي، فقد قام التضاد بين العطاء وهو من مقتضيات المادة، والكراهية وهي من مقتضيات الشعور. وقول الحارث: " وَغَلَ عَلَيْنَا شَيْخٌ قَدْ ذَهَبَ حَبْرُهُ وَسَبْرُهُ، وَبَقِيَ

106. المقامة الديمقراطية: ص 37. يلغي الأواخي: يهمل العهود. أمالي: مخفف من املء. صرم حبالى: نقض عهودي. من يخفر زمامي: من ينقض عهودي.

107. المقامة نفسها: ص 37. الأيادي: جمع يد بمعنى العطية.

108. نفسها: ص 40. كلف: موع. بدماقتهما: بسهولة اخلاقهما.

109. المقامة الكوفية: ص 47. مفضوضة: مصبوبة متفرقة. مرضوضة: مدقوقة.

110. نفسها: ص 38. نوازن: نتماثل. نتحاذى: نتساوى، لان النعل تقدر على مقدار صاحبها.

111. الديمقراطية: ص 40.

112. المقامة البرقعيدية: ص 61. متهافت: متساقط، من تهافت البعوض سقط في النار. خافت: ضعيف الصوت.

113. المقامة الرقطاء: ص 223.

حُبْرُهُ وَسَبْرُهُ" ¹¹⁴ ، فالمجانسة بين (سِبْرُهُ و سَبْرُهُ) تدل على التضاد بين امر مادي هو الجمال و امر معنوي روعي هو العلم، و هذا التضاد يدل على الفناء المتمثل بالجمال، و الخلود المتجسد بالعلم. و قد يدل التضاد بين اللفظين المتجانسين على التفصيل عندما يتتابع الجناس لتعداد اوصاف شيء ما ، و مثاله قول ابي زيد في وصف جاريته: " وَكَانَتْ عِنْدِي جَارِيَةً، لَا يُوجَدُ لَهَا فِي الْجَمَالِ مُجَارِيَةٌ، إِنَّ أَسْفَرَتْ حَجَلَ النَّيِّرَانِ، وَصَلِيَتْ الْقُلُوبَ بِالنَّيِّرَانِ، وَإِنْ بَسَمَتْ أُرْزَتْ بِالْجَمَانِ، وَيَبِيعُ الْمُرْجَانُ بِالْمَجَانِ، وَإِنْ رَنَّتْ هَيَّجَتْ الْبَلَابِلَ، وَحَقَّقَتْ سَحْرَ بَابِلَ، وَإِنْ نَطَقَتْ عَقَلَتْ لُبَّ الْعَاقِلِ، وَاسْتَنْزَلَتْ الْعُصْمَ مِنَ الْمَعَاقِلِ، وَإِنْ قَرَأَتْ شَفَّتِ الْمَفْؤُودَ، وَأَحْيَيْتِ الْمَوْؤُودَ.. " ¹¹⁵ فبواسطة الجناس تمكن ابو زيد من رسم صورة تفصيلية لجمال الجارية. و كذلك قول الحارث في وصف بيت رجل غني: " واقتادني الى بَيْتِ عِشَارُهُ تَحُورُ، وَأَعْشَارُهُ تُفُورُ، وَوَلَانْدُهُ تُمُورُ، وَمَوَانْدُهُ تُدُورُ " ¹¹⁶. نلاحظ ان تتابع الجناس ساعد في رسم صورة حيّة لذلك البيت الذي يعجّ بالحركة و يفيض بالخير. و منه كذلك قول ابي زيد لابنه واصفا الخبز: " وَاسْتَصْحَبَ ذَا الْوَجْهِ الْبَدْرِيِّ، وَاللُّونَ الدَّرِيِّ، وَالْأَصْلَ النَّقِيِّ، وَالْجِسْمَ الشَّقِيَّ " ¹¹⁷ و في اغلب الاحيان يعتمد الحريري الى المجانسة بين اسماء البلاد التي زارها ابو زيد و الافعال التي يقوم بها في هذه البلاد دون ان يكون لهذا التجانس أي دلالة خاصة ، فهو يقصد خلق الاليقاع الموسيقي لا غير ، و مثال قول الحارث : " شَهَدْتُ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ فِي بَعْضِ مَسَاجِدِ الْمَغْرِبِ " ¹¹⁸ ، و قول ابي زيد للحارث : " دُونَ مَرَامِكَ حَرْبُ الْبَسُوسِ، أَوْ تَصْحَبَنِي إِلَى السُّوسِ " ¹¹⁹ و قد يدل هذا التجانس على موقف

114 . المقامة المملطية: ص312. غل: دخل . حيره و سبره: هيئته و حسنه . خبره و سبره: علمه و تجربته.

115 . المقامة السنجارية: ص154. النيران: الشمس و القمر . صليت: التهبث . أرزت: هزأت. الجمال : جمع جمالة : وهي اللؤلؤة . البلابل: جمع بلبال: وهو حرارة في القلب لعدم نيل المقصود. عقلت: حبست. المعائل: الوعول من الجبال المرتفعة او الذين اعتصموا في المعائل و الحصون . المفؤود: الذي به وجع الفؤاد . الموؤود: الذي دفن حيا .
116 . المقامة الشتوية: ص384. العشار: النوق الحوامل . أعشاره: هي البرم . تمور: تجيء و تذهب لخدمة الاضياف .

117 . المقامة الواسطية: ص243. الاصل النقي: الحنطة الجيدة . الجسم الشقي: من الطحن و العجن و الخبز في النار.

118 . المقامة المغربية: ص137.

119 . المقامة الرقطاء: ص220. السوس: مدينة بارض فارس. ا

المتكلم من البلد التي يزورها ، ومثاله قول الحارث: " أَلْجَانِي حُكْمٌ دَهْرٌ قَاسِطٌ إِلَى أَنْ
أَنْجِعَ أَرْضَ وَأَسِطٌ " ¹²⁰ كما استغل إيقاع الاجناس في سياقات الوعظ والتأثير على
المستمعين وحثهم على التوبة، ومنه قول ابي زيد: " ... طَالَمَا أَسَيْئْتُمْ عَلَى انْتِثَامِ الْحَبَّةِ،
وَنَأْسَيْئْتُمْ احْتِرَامِ النَّاحِبَةِ ، وَاسْتَكْنَيْتُمْ لِاعْتِرَاضِ الْعُسْرَةِ ، وَاسْتَهَيْتُمْ بِانْقِرَاضِ الْأُسْرَةِ،
وَضَحَكْتُمْ عِنْدَ الدَّفْنِ، وَلَا ضَحَكْتُمْ سَاعَةَ الرَّفْنِ... " ¹²¹

وجاءت امثلة الجناس التام ضمن هذه الصور الايقاعية ، مما يساعد على خلق إيقاع لافت
قصده الحريري لاثارة انتباه القاريء، وحثه على معرفة الدلالات المختلفة للكلمات المتماثلة
في صورتها، ومثاله تكرار كلمة الدَسْتُ بمعانيها المختلفة في الحوار الذي جرى بين القاضي
والحارث: " ... نَشَدْتُكَ اللَّهُ أَلَسْتَ الَّذِي أَعَارَهُ الدَّسْتُ (اللباس) ؟ قُلْتُ: لَأَ وَالَّذِي أَحَلَّكَ
هَذَا الدَّسْتَ (المجلس) مَا أَنَا بِصَاحِبِ ذَلِكَ الدَّسْتِ (اللباس)، بَلْ أَنْتَ الَّذِي تَمَّ عَلَيْهِ
الدَّسْتُ (القمار) " ¹²².

وصورة اخرى لايقاع الجناس، هو توالي اللفظين المتجانسين ويفصل بينهما فاصل قد يكون
حرف عطف، ومن الملحوظ ان أكثر حروف العطف التي تفصل بين المتجانسين هو حرف (
الواو) ويليها (او). ومنه قول الحارث: " .. أَبَاحْتُ كُلَّ مَنْ جَلَّ وَقَلَّ... وَخَبَرْتُ مَا شَانَ
وَرَانَ " ¹²³ وقوله: " وَنَشَرُوا الْعَجْوَةَ وَالنَّجْوَةَ مِنْ نَوَطِهِمْ " ¹²⁴ وهنا ربطت الواو بين
متجانسين متضادين للدلالة على اختلاط الجيد والرديء فيه. وقول الرجل مهددا ابا زيد
ومحذرا ايأه: " يَا هَذَا إِنَّ الْبُعَاثَ بِأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ ، وَالْتَّمِيْزَ بَيْنَ الْقُضَّةِ وَالْقُضَّةِ
مُتَيْسِّرٌ " ¹²⁵ وقد تفصل الواو بين متجانسين غير متناقضين، ومنه قول الحارث: " أَنَا

120 . المقامة الواسطية: ص242. قاسط: جائر ومائل . انتجع: اطلب النجعة . واسط : مدينة بالعراق.

121 . المقامة الساوية: ص94. اسيتم : حزنتم . انتظام الحبة: انكسارها . الاخترام: الانقطاع والاستئصال.

الاعتراض: الوقوع. العسرة: الفقر والفاقة . الرفن : نوع من الرقص.

122 : المقامة الشعرية: ص201. الدست : بمعنى: اللباس . الدست(الثانية) : صدر المجلس. الدست الاخير :

بمعنى دست القمار في اصطلاحهم اذا خاب قرح احدهم ولم يفز قيل : تم عليه الدست.

123 . المقامة الحلوانية: ص22. خبرت كل ما شان وزان: جربت ما قبح وما حلي.

124 . المقامة المراغية: ص51. العجوة: اجود التمر. النجوة: أردأه . النوط : جلد يجمع فيه التمر.

125 . المقامة نفسها: ص53. البعاث : ضعاف الطير. لا يستنسر : لا يتشبه بالنسر. القضة: صغار الحصى.

صَاحِبُهَا وَمُضَلُّهَا، وَلِي رَسَلُهَا وَنَسَلُهَا" ¹²⁶ أي الناقعة كلها له . وكذلك قول ابي زيد معرفا بنفسه : " سَلُوا عَنِّي الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ، وَالْمَنَاسِمَ وَالْعَوَارِبَ، وَالْمَحَافِلَ وَالْجَحَافِلَ، وَالْقَبَائِلَ وَالْقَنَائِلَ " ¹²⁷ . وقد يفصل في هذه الصورة حرف من حروف الجرّ، وغالبا ما تدلّ هذه الصورة على التخصيص، ومنه قول الحارث واصفا ابا زيد بانه: " أُعْجُوبَةُ الرَّمَّانِ، وَالْمَشَارِقُ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ فِي الْبَيَانِ " ¹²⁸ فقد فصل حرف الجر (في) بين متجانسين وقام الطرف الثاني من هذين المتجانسين بدور المخصص، وقول زوجة السروجي شاتمة اياه بكونه " ...أَفْضَحُ مِنْ حَبَقَةٍ فِي حَلْفَةٍ، وَأَحْيِرُ مِنْ بَقَّةٍ فِي حُقَّةٍ " ¹²⁹ ولقد استخدم ابو زيد السروجي حرف الجر (ب) بين متجانسين : الطرف الاول منهما يدلّ على الطعام، أمّا الثاني فيدلّ على فنّ من فنون القول، وذلك في الاسئلة التي وجهها للغلام والتي تدور حول امكانية مبادلة فنون القول بالطعام: " أَيَبَاعُ هَاهُنَا الرُّطْبُ بِالْحُطْبِ... وَلَا الْبَلْحُ بِالْمَلْحِ... وَلَا الثَّمَرُ بِالسَّمَرِ... وَلَا الْعَصَائِدُ بِالْقَصَائِدِ... وَلَا الثَّرَائِدُ بِالْفَرَائِدِ " ¹³⁰ فهذه الصورة تدل على طلب مبادلة الطرف الثاني بالطرف الاول، وقد تكررت خالقة ايقاعا مكتفا يوحي بالسخرية.

وقد يفصل بين المتجانسين ب(لا) النافية، وهنا تنحصر الدلالة بالطرف الاول ومن الثاني: " ...وَحَاوَرَ مُحَاوَرَةً قَرِيبًا لَنَا غَرِيبًا " ¹³¹ . وكذلك قول ابي زيد " ...سَتُّذْرِي الدَّمَ لَنَا الدَّمْعُ " . وقد يتوازى المتجانسان دون ان يفصل بينهما فاصل، فيظهر الايقاع الموسيقي بشكل واضح نتيجة هذا التجاور التام بين المتجانسين ويأتي هذا النسق في صورة التركيب الشرطي، فيكون أحد المتجانسين فعل الشرط والآخر جواب الشرط، ومن ذلك ما قاله ابو زيد متحديا: " وَإِنِّي لَأَعْرِفُ الْآنَ مَنْ إِذَا أُنْشَأَ وَشَى، وَإِذَا عَبَّرَ حَبَّرَ، وَإِنْ أَسْهَبَ أَذْهَبَ،

126 . المقامة البوريّة: ص 232. رَسَلُهَا: لينها.

127 . المقامة البصريّة: ص 445-446. القنابل : وهو الطائفة من الخيل من 30-40.

128 . المقامة السنجاريةّة : ص 152. بالبنان: بأطراف الاصابع . في البيان: في الفصاحة.

129 . المقامة التبريزيّة: ص 348.

130 . المقامة البكريّة : ص 381. العصائد : جمع عصيدة : وهي دقيق يطبخ بالماء جيّدا ثم يؤكل بالسمن والعسل.

الغرائد: جمع الثريدة؛ وهي الخبز المقتوت في مرق اللحم . الفرائد: جمع فريدة : و اراد بها ابيات القصائد.

131 . المقامة المكيّة: ص 119.

وَإِذَا أَوْجَرَ أَعْجَرَ، وَإِنْ بَدَأَ شَدَّ، وَمَتَّى احْتَرَعَ حَرَاعٌ¹³² وقد يأتي احد المتجانسين اسما والآخر فعلا كما ورد في هذه الابيات الشعرية التي ينصح فيها ابنه:
 " بُنِّي اسْتَقِمْ فَالْعُودُ تَنْمِي عُرْوُهُ قَوِيماً وَيَعْشَاهُ إِذَا التَّوَى التَّوَى " ¹³³
 وهكذا الى نهاية القصيدة فهو يلتزم بتتابع المتجانسين في آخر كل بيت ، وهذا يجعل الايقاع متوقعا¹³⁴.

وقد وردت هذه الصورة في الابيات المتائيم، وهي تلك الابيات التي تتكون من كلمات متجانسة، وقد رسمت هذه الالفاظ المتجانسة صورة حيّة لجمال امرأة تُدعى زينب:

" زَيْنْتُ زَيْنَبٌ بَقْدَ يَقْدُ وَتَلَاهُ وَيَلَاهُ نَهْدُ يَهْدُ " ¹³⁵

وهكذا فقد حقق توافر الجنس في مقامات الحريري دورا مزدوجا يجمع بين جمال الايقاع الموسيقي وعمق الدلالة، وبهذا يتعدى الجنس في الكثير من الامثلة حدود الجمال الموسيقي ويتصل بالمدلولات في السياق، كأن يعبر عن التقارب بين مدلول المتجانسين اللذين يقومان إما على الترادف الحقيقي: وهو أن يكون بين اللفظين المتجانسين ترادف رغم اختلاف أصل كل منهما، وإما على الترادف الازدواجي وهو أن يكون اللفظان المتجانسان من أصل واحد. كما قد يعبر الجنس عن التقابل بين معنيين كل منهما نقيض للآخر. كذلك قد يعبر الجنس عن التضاد الذي يقوم على التنافر بين المتجانسين. غير أن هذا لا ينفي وجود العديد من الامثلة التي اقتصر دور الجنس فيها على الناحية التجميلية، خاصة عند ورود الالفاظ المتجانسة في نهاية التراكيب، حيث يستخدم الجنس استخداما شكليا لتحقيق السجع.

إيقاع التراكيب

شاع في مقامات الحريري نمط التراكيب شيوعا كبيرا، وهو الايقاع المتولد عن التراكيب

132 . المقامة المراغية:ص53. وشي: زين وخط لونا بلون. حبر: أحسن. أسهب: أطال الكلام. أذهب: أذهب العقول. إن بده: عن اجاب على البديهة. أخرج: أي افزع.

133 . المقامة الحجرية: ص418. العود: الغصن. تنمي عروقه: تزيد، واران بالعروق الاصول. التوى: الهلاك والردى.

134 . تنظر بقية الابيات في المقامة نفسها (الحجرية)، ص418-419.

135 . المقامة الحلبيّة: ص405 (تنظر بقية الابيات ص406). بقد: أي بقامة. يقد: أي يقطع، يعني ان قدها يشق

القلوب من حسنه. تلاه: أي تبعه.

المتجانسة في اعداد مقاطعها، وهذا التركيب هو التركيب الذي يتكرر بمقاطعته وليس بأصواته، ويعتمد على التوازي التام أو شبه التام. ومن الملاحظ ان الايقاعية في هذه التراكيب ناتجة عن التساوي التام بين الوحدات الصوتية المكررة.

ومن امثلة هذا الايقاع ما ورد في المقامة الساوية، حيث وقف ابو زيد بالناس في مقبرة حاثا الناس على تذكر الموت وهول القبر وظلمته: "...فَادْكُرُوا أَيُّهَا الْعَافِلُونَ وَشَمِّرُوا أَيُّهَا الْمُقْصِرُونَ، وَأَحْسِنُوا النَّظَرَ أَيُّهَا الْمُتَبَصِّرُونَ! مَا لَكُمْ لَأَ يُحْزِنُكُمْ دَفْنُ الْأَثْرَابِ وَلَا يَهْوِلُكُمْ هَيْلُ الثَّرَابِ؟ وَلَا نَعْبَأُونَ بِبَوَازِلِ الْأَحْدَاثِ وَلَا تَسْتَعِدُّونَ لِرُؤُولِ الْأَجْدَاثِ؟ وَلَا نَسْتَعْبِرُونَ بِعَيْنِ تَدْمَعٍ، وَلَا تَعْتَبِرُونَ بِبِنْعِي يُسْمَعُ؟ وَلَا تَرْتَاغُونَ لِإِلْفِ يُفْقَدُ وَلَا تَلْتَاغُونَ لِمِنَاحَةِ تُعْقَدُ"¹³⁶ فقد خلق التوازي القائم بين كل زوجين من التراكيب السابقة ايقاعا منتظما. وقد ابتداء ابو زيد هذا الوعظ بفعل الامر والنداء وذلك للتنبيه وإثارة الاهتمام . وفي المقامة الدمشقية يطلب ابو زيد ركاب السفينة العطاء مقابل دعاء زعم انه ينجي من احوال البحر، ويستهل هذا الدعاء بايقاع من التراكيب المتوازية: " :اللَّهُمَّ يَا مُحْيِيَ الرُّقَاتِ، وَيَا دَافِعَ الْأَقَاتِ، وَيَا وَاقِيَ الْمَخَافَاتِ، وَيَا كَرِيمَ الْمَكَافَاتِ، وَيَا مَوْئِلَ الْعُقَاةِ، وَيَا وَلِي الْعَفْوِ وَالْمَعَاوَاةِ..."¹³⁷ فابو زيد في هذه التراكيب المتوازية يدعو بالحاح مكررا استخدام أداة النداء (يا) وبعدها يطلب من الله بقوله: " وَأَعِدْنِي مِنْ نَرْغَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَنَرْوَاتِ السَّلَاطِينِ، وَإِعْنَاتِ الْبَاغِينِ، وَمُعَانَاةِ الطَّاعِينِ، وَمُعَادَاةِ الْعَادِينِ، وَعُدْوَانَ الْمَعَادِينِ، وَعُغْلِبَ الْغَالِبِينَ، وَسَلَبَ السَّالِبِينَ، وَحَيْلَ الْمُحْتَالِينَ، وَغَيْلَ الْمُغْتَالِينَ، وَأَجْرَنِي اللَّهُمَّ مِنْ جَوْرِ الْمَجَاوِرِينَ، وَمَجَاوِرَةِ الْجَائِرِينَ"¹³⁸ ويستمر الحريري في هذه الايقاعية ولكنه

136 . المقامة الساوية: ص 93-94. شمروا: أي اجتهدوا وتهيأوا. المتبصرون: جمع المتبصر: المستبصر المتأمل. هيل: اصل الهيل: الصب الكثير، استعمل في ردم القبر بالتراب عند مواراة الميت ودفنه. الاحداث: حوادث الدهر ومصائبه. الاجداث: جمع جدث: وهو القبر، والمعنى كأنكم غير مكترثين بالموت. لا تستعبرون: لا تبكون. لا تعتبرون: لا تتعظون.

137 . المقامة الدمشقية: ص 104. الآفات: المضرات. الواقي، من الوقاية: وهي الحفظ. موئل: مرجع وملجأ. العفاة: وهو طالب العفو. المعافاة: مصدر عافاه الله.

138 . المقامة نفسه والصفحة نفسها. أعذني: اجرني. نزع الشيطان: أفسد وأغوى. نروات: جمع نروة، من نزا ينزو: اذا وثب. الإعنات: الشدة. الطاعين: المتجاوزين الحد في الظلم. العادين: المعتدين. الغيل: الهلاك. أكف الضائمين: ايدي الظالمين المذلين.

يكسر الرتابة بتنويع التراكيب، فهو يكمل دعاءه قائلاً: " وَكَفَّ عَنِّي أَكْفَ الضَّائِمِينَ ، وَأَخْرَجَنِي مِنْ ظُلُمَاتِ الظَّالِمِينَ ، وَأَدْخَلَنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، اللَّهُمَّ حَطَّنِي فِي رُبَّتِي وَعُرْبَتِي ، وَعَيْبَتِي وَأَوْبَتِي، وَنَجَعْتِي وَرَجَعْتِي ، وَتَصَرَّفِي وَمُنْصَرَفِي ، وَثَقَلْبِي وَمُنْقَلْبِي ، وَاحْفَظْنِي فِي نَفْسِي وَنَفْسَائِي...وَلَا تُلْحِقْ بِي تَغْيِيرًا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ مُغْيِرًا، وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا، اللَّهُمَّ احْرُسْنِي بِعَيْنِكَ وَعَوْنِكَ، وَاحْصُنِّي بِأَمْنِكَ وَمَنْكَ، وَتَوَلَّنِي بِإِحْتِيَارِكَ وَخَيْرِكَ" ¹³⁹ ويحاول الحريري ان يخلق نوعا من الايقاع الموسيقي بدلا من السجع الذي التزم به في مقاماته كلها، فابو زيد يظهر في المقامة البغدادية في هيئة امرأة عجوز تحاول ان تثير شفقة من حولها لابتزاز اموالهم، فتدعي أنها من سروات القبائل، لم يزل أهلها وبعلمها: " يَحْلُونَ الصَّدْرَ، وَيَسِيرُونَ الْقَلْبَ ، وَيَمْطُونَ الظَّهْرَ، وَيَوْلُونَ الْيَدَ، فَلَمَّا أَرَدَى الدَّهْرُ الأَعْضَادَ، وَفَجَعَ بالجوارح الإكبادَ، وَانْقَلَبَ ظَهْرًا لِبَطْنِ، نَبَأَ النَّاطِرُ، وَجَفَأَ الْحَاجِبُ، وَدَهَبَتِ الْعَيْنُ، وَفَقَدَتِ الرَّاحَةَ، وَصَلَدَ الرَّئِدُ، وَوَهَنَتِ الْيَمِينُ، وَضَاعَ الْيَسَارُ، وَبَانَتِ الْمَرَافِقُ...فَمُدَّ اغْبَرَ الْعَيْشُ الأَخْضَرُ وَازْوَرَ المحبوبُ الأَصْفَرُ، اسْوَدَّ يَوْمِي الأَبْيَضُ، وَابْيَضَ قَوْدي الاسْوَدُّ..." ¹⁴⁰ فهذا التكتيف للتراكيب المتوازية قد سيطر على ايقاع كلامها وكأن الكاتب أراد ان يبين أن هول المصيبة وعظمتها تشغل المتكلم عن تزيين كلامه بالسجع.

وهناك نوع من التراكيب المتوازية تلك التي تأتي في سياق التفصيل، وقد شغلت مساحة واسعة في المقامات. ويهدف هذا التفصيل الذي تقوم به هذه التراكيب الى زيادة الوصف غالبا. ومن هذه التراكيب الايقاعية، ما جاء في المقامة البغدادية في وصف الصبية الذين استتبعتهم العجوز، فهم: " أَنْحَفَ مِنَ الْمَعَازِلِ، وَأَضْعَفَ مِنَ الْجَوَازِلِ" ¹⁴¹ ومنه ايضا وصف الحارث لأصدقائه بأنهم: " فَنِيَّةٌ وَجُوهُهُمْ أَبْلَجٌ مِنْ نُوَارِهِ، وَأَخْلَافُهُمْ أَبْهَجٌ مِنْ

139. المقامة الدمشقية: ص105. تربتي: بلدي ووطني. النجعة: طلب الماء والكأ. تصرفي: مشاغلي. مآلي: مصيري. تغييرا: سلبا بعد عطاء. مغيرا: من الاغارة.

140. المقامة البغدادية: ص113. يسيرون القلب: وسط الموكب. يولون اليد: يعطون النعمة. اردى: اهلك. الاعضاء: الأعوان. جوارح الانسان: اعضاؤه التي يكتسب بها، يريد الاولاد والخدم. ظهرا لبطن: كناية عن تحول الامر. نبا الناظر: أي تجافى وبعد. العين: الذهب. صلد الرئد: كناية عن الخيبة.

141. المقامة البغدادية: ص112. الجوازل: جمع جوزل: وهو فرخ الحمامة.

أزهاره ، وألغاظهم أرق من نسيم أسحاره " ¹⁴² ومن مواطن التراكيب المتوازية للتفصيل حديث الحارث عن جام الحلوى الذي قدّم الى أبي زيد وعدد من اصحابه: " ثُمَّ قَدَّمَ جَامًا كَأَمَّا جَمَدٌ مِنَ الْهَوَاءِ ، أَوْ جُمِعَ مِنَ الْهَبَاءِ ، أَوْ صِيغَ مِنْ نَوْرِ الْفَضَاءِ ، أَوْ قُشِرَ مِنَ الدَّرَّةِ الْبَيْضَاءِ ، وَقَدْ أُوْدِعَ لِفَائِفِ النَّعِيمِ ، وَضُمِّحَ بِالطَّيِّبِ الْعَمِيمِ ، وَسِيقَ إِلَيْهِ شَرْبٌ مِنْ تَسْنِيمِ ، وَسَفَرَ عَنْ مَرَأَى وَسِيمِ ، وَأَرَجَ نَسِيمِ ، فَلَمَّا اضْطَرَمَّتِ الشَّهَوَاتُ ، وَقَرَمَتْ إِلَى مَحْبَرِهِ اللَّهَوَاتُ ، وَشَارَفَ أَنْ تُشَنَّ عَلَى سِرْبِهِ الْغَارَاتُ..... " ¹⁴³ فلا يخفى اذا ما لهذا التفصيل من ايقاع موسيقي وزيادة في الوصف. ثم نجد تفصيلا آخر في كلام أبي زيد عندما يفصل مظاهر فقره وحاجته: " وَهَا أَنَا الْيَوْمَ يَا سَادَتِي ، سَاعِدِي وَسَادَتِي ، وَجِلْدَتِي بُرْدَتِي ، وَحَفْنَتِي جَفْنَتِي " ¹⁴⁴ فقد اجتمعت ثلاثة تراكيب متوازية متقاربة في الدلالة، وهي تدل على انه انسان معدم لا يملك شيئا. ومنه قول الحارث في تعدد الأثاث الموجود في دار المكدين: " فَإِذَا فِيهَا أُرَائِكُ مَنقُوشَةً ، وَطَنَافِسُ مَفْرُوشَةً ، وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةً ، وَسُجُوفٌ مَرصُوصَةٌ " ¹⁴⁵ إن استخدام أربعة تراكيب متوازية بشكل متجاور يخلق ايقاعا واضحا يثير اهتمام السامع، وهذا ما اراده الحريري فهو بهذا التعداد لأثاث الدار يخلق صدمة في توقع السامع، لان هذه الدار يمتلكها المكدون الذين لا يملكون شيئا، والمتوقع ان تكون الدار خالية لا أثاث فيها ولا متاع، ولكنها هنا دار فخمة ذات أثاث فاخر، ولذلك نجد الكاتب يعدد هذا

142 . المقامة القطيعية: ص203. ابلج من انواره: أي اضعوا من ازهار الربيع ، فإن الأنوار جمع نور ، بالفتح، وهو الزهر.

143 . المقامة السنجارية: ص152. جاما: ظرفا من زجاج. الهباء : هو ادق الغبار الذي يظهر من ضوء الشمس الداخل من الكوى. قشر : نزع، أي كأنه قشرة قشرت من الدرة. لفائف النعيم: أي ما لف من الحلوى فطوي بعضه على بعض . ضمخ: لطخ . شرب: قسم وحظ. تسنيم : اسم عين في الجنة. أرج نسيم : ريح طيبة. القرم: اصله شدة شهوة اللحم ثم استعمل في مطلق الاشتهاة . مخبره : أي ما فيه . اللهوات: جمع لهاة، وهي اللحم المشرفة على الحلق. تشن: تفرق. السرب : القطيع من النساء او الوحش والظباء، و اراد به هنا صنوف ما في الجام.

144 . المقامة الكرجية: ص214. البردة: كساء اسود مربع فيه خطوط صفر تلبسه الاعراب. الحفنة: ملء الكف. الحفنة: القصة.

145 . المقامة الصورية: ص256. أرائك: جمع اريكة : السرير المزين فوقه قبة منه. طنافس: نوع من البسط . نمارق: جمع نمركة: وسادة صغيرة. السجوف: جمع سجف: الستر.

الأثاث لتأكيد الفكرة وزيادة دهشة السامع. وفي هذه المقامة أيضا يقوم ابو زيد بعقد قران ولّاج بن خراج على قنيس بنت ابي العنيس وهما من المكدين، وفي هذه الخطبة يقوم ابو زيد بتعداد صفات ولّاج بن خراج: " ذو الوجه الوقاح، والإفك الصراح، والهريير والصياح، والابرام والإلاح " ¹⁴⁶ ان هذا التفصيل والتركيب المتوازي يلفت انتباه السامع الى هذه الصفات الغريبة التي يفتخر بها الشحاذون والمكدون ويعتبرون من يتخلق بها مكديا ناجحا يلتزم باخلاقيات المهنة. وتكرر هذه التراكيب المتوازية في تعداد صفات قنيس بنت ابي العنيس التي اختارها ولّاج لما بلغه من " التحافها بالحافها، وأسرافها في إسفافها، وانكماشها على معاشها، وانتعاشها عند هراشها " ¹⁴⁷ فهذه التراكيب المتوازية في وصف أخلاق قنيس تقابل تلك التراكيب المستخدمة في تعداد صفات ولّاج مما خلق ايقاعا يوحى بالطرافة. ويختتم ابو زيد هذه الخطبة بالدعاء للعروسين بأن سأل الله في أن: " يكثر في المصاطب نسلكم، ويحرس من المعاطب شملكم " ¹⁴⁸ وهذا الزوج من التراكيب المتوازية جاء ملائما للتراكيب المتوازية السابقة ومتمما لايقاعها.

وتأتي التراكيب المتوازية في حديث الحارث عن الجهد الذي بذله في البحث عن ناقته، وقد فصل في بيان هذا البحث المتواصل لاعطاء صورة واضحة عن ذلك الجهد المبدول: " وسرت لا أرى أثرا الا قفوتها، ولا نشراً إلا علوتها، ولا وادياً إلا جزعته، ولا راكباً لا استطلعته " ¹⁴⁹ فقد تجاوزت اربعة تراكيب متوازية متقاربة الدلالة، فكل كلمة في تركيب تقابلها كلمة في التراكيب الثلاثة الاخرى.

وقد برز ايقاع التراكيب المتوازية بالتفصيل في المقامة الساسانية التي تتضمن النصيحة التي وجهها ابو زيد لابنه، ولا شك أن هذا الإيقاع يلائم جو النصيحة لما فيه لفت انتباه

146 . المقامة نفسها:ص258. ابو الدراج: كناية عن كثرة درجه وسعيه في الطلب. ولّاج بن خراج: يعني كثرة

الولوج والخروج في التكدي. الإفك الصراح: الكذب الواضح. الهريير: متابعة الصياح. الإبرام: الضجار والاثقال.

147 . نفسها:ص259. العنيس: من أسماء الاسد. الإلحاف: الالاح. اسفافها: كناية عن دنوها وتساقطها على ما

يجمع من الناس. انكماشها: اسراعها. انتعاشها: تهيجها واضطرابها. هراشها: مخاصمتها.

148 . نفسها:ص259.

149 . المقامة الوبرية:ص228. النشز: المكان المرتفع. جزعته: قطعه عرضا. استطلعته: سأله واستخبرته عن

السامع الى ما يقال، يقول ابو زيد مرغبا ابنه بحرفة الساسانيين: " ولم ار ما هو باردُ المغنم ، لذيذُ المطعمِ ، وافي المكسب، صافي المشرب، الا الحرفة التي وضَع ساسانُ أساسها" ¹⁵⁰ فهو يخلق من خلال هذه التراكيب ايقاعا يجذب انتباه ابنه ويرغبه في هذه الحرفة التي قدّم لها بتعداد مفصّل لفوائدها، ويضيف: " ان كانت المتجرّ الذي لا يبورُ، والمنهل الذي لا يغور" ¹⁵¹ فكل كلمة في التركيب الاول لها ما يوازيها في التركيب الثاني، ويفصل لابنه مقومات النجاح في هذه المهنة: " يا بنيّ إنّ الارتكاضَ بابُها، والنشاطُ جلبابُها، والفتنة مصباحُها، والقحة سلاحُها" ¹⁵²، فهذه التراكيب المتوازية تخلق ايقاعا يسرب المعاني الى النفس بسهولة. وها هو أبو زيد يحث ابنه على النشاط والحركة في طلب الرزق: " وجب كلّ قحّ، ولجّ كلّ لُجّ،.... ارتد السوق قبل الجلب، وامتر الضرع قبل الحلب" ¹⁵³ . كذلك تحتل هذه التراكيب المتوازية قدرا كبيرا من بنية المقامة الدمياطية في الحوار الذي دار بين ابي زيد وابنه حول الوصيّة والقطع، يقول ابو زيد: " ومن حكّم بأنّ ابدلّ وتخرنّ، والينّ وتحسنّ، وأذوب وتجمدّ، وأذكو وتحمّد؟ لا والله بلّ نتوازن في المقال وزن المتقال، وتحدّاي حدو النعال، حتى نأمن التغابن ونكفي التضاعن، والا فلم اعلك وتعلني، وأقلك وتسنقلني، وأجترح لك وتجرحني، وأسرخ إليك وتسرّحني؟" ¹⁵⁴ فقد توالى التراكيب وجاءت في مجموعات، كل مجموعة يُلتزم فيها نوع واحد من التراكيب المتوازية، كما نلاحظ أنّ كلّ زوج من هذه التراكيب يتكون من الكلمة وضدها، وهذا يزيد من الايقاع الموسيقي.

150 . المقامة الساسانية: ص435.

151 . المقامة نفسها والصفحة نفسها. لا يغور: لا ينضب ولا ينقص.

152 نفسها: ص436. الارتكاض: الحركة.

153 . نفسها : ص438. راد السوق وارتادها: اختبرها، كأنه يقول: اختبر الاسعار قبل شراء البضاعة. امتر: امر من الامتراء: مسح الحالب الضرع لتدر.

154 . المقامة الدمياطية: ص38. نتوازن: نتماثل. نتحدّاي: نتساوى. لان النعل تقدر على مقدار صاحبيتها. اعلك، من عله: اذا سقاها السقية الثانية. تعلني، من أعله: اذا مرضه. أقلك، من أقله: اذا رفعه وأعلاه. إجترح: اكتسب.

وهكذا فقد تعددت التراكيب المتوازية في مقامات الحريري، وتبع هذا التعدد تعدد في الوظائف التي تقوم بها هذه التراكيب. ويمكننا ان نعتبر هذا القسم أوضح الاساليب الايقاعية في مقامات الحريري لان هذه التراكيب توفر كثافة ايقاعيّة ناتجة عن التساوي التام بين الوحدات الصوتيّة المكررة والابعاد المتساوية بيت التراكيب المتوازية ، فالتراكيب المتوازية تميل الى التجاور التام في أغلب السياقات. فقد احتلت التراكيب المتوازية مساحة كبيرة في العديد من المقامات، وقد تأتي هذه التراكيب المتوازية في مجموعتين أو أكثر، وتقوم بنية كل مجموعة على نمط واحد من هذه التراكيب، وقد تتنوع التراكيب المتوازية في السياق مما يكسر الرتبة الايقاعيّة الناتجة عن الاقتصار على نمط واحد من التراكيب فيتنوع الايقاع. وفي هذا القسم سقنا من الامثلة ما يناسب التدليل على هذه الظاهرة الايقاعية ، كما أنّ الدلالات التي اعطيت للسياقات المستشهد بها هي دلالات خاصّة مرتبطة بسياقات مخصوصة.